

الافتتاحية

المعصية الفردية والمعصية الجماعية

المعصية الفردية يرتكبها صاحبها مستتراً، يتوارى من المجاهرة بها افتخاراً وتحدياً لمشاعر الجماهير، وقد يرتكبها وهو معتقد أنها حرام ، وأنه ينتهك بارتكابها شرع الله ، فيتوارى بفعلته تلك عن الأنظار ويصده الحياة عن تحدي المجتمع بذلك ، وإذا ما لاحقه شوئ فعله فافتضح فإنه يذهب يلتمس المعاذير التي يعتذر بها عادة المقصرون ، وقد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه ، ويردف السيئة بالحسنات؛ فينسى الناس ما كان بدر منه ((وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا)) [الفرقان: ٧١].

هذا النوع من المعاصي خطبه سهل - مقارناً بالنوع الثاني وهو المعصية الجماعية - فشومه وعواقبه الوخيمة تقتصر على مرتكبه ، ودائرة الضيقة التي يتحرك فيها.

أما المعصية الجماعية فلها شأن آخر، فهي من حيث التطبيق ينتظم فيها عدد كثير يتواطؤون على فعلها ولا يزال هذا العدد يكبر ويكبر حتى يشمل المجتمع كله.

- ومن حيث صورتها يجاهر بها على رؤوس الأشهاد، وقد يصبح فعلها مجال فخر وخiale واعتزاز وتطاول على الآخرين ، فقد تتذبذبها الجماعة أو الشعب شعاراً وتعتقد أنه يجلب لها المجد والرفة.

ومن حيث أثرها السيئ، فإن نتيجتها لا تحيط بأهلها فقط بل بالمجتمع كله مع وجود أناس قد يسمئون من فعلها في ذلك المجتمع .

- إن أثر المعصية الجماعية مدمر ومخيف لاتساع المساحة التي يظهر فيها شوئ هذا الأثر، فهي تعرض المجتمع الذي فشت فيه بأسره لغضب الله وانتقامه ، وتجعله فاقد المناعة، يهوي ويندثر عند تعرضه لأدنى هزة.

هذا مع أنه قد يعجب الناظر إليه ، ويخدع الذي لا يتعمق في تفحص جوهره ، فيحسبه سليماً متاماً، وهو المعلول الذي يعد الحكماء والأطباء - وما أقلهم - له الأيام والساعات. لقد قص الله - عز وجل - علينا في القرآن الكريم خبر كثير من الأمم التي أهلكها بسبب المعصي الجماعية، وذكر لنا جريمتهم التي استحقوا بها ذلك العقاب ، مثل قوم عاد: ((وَتَلَكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَّهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلَّ جَبَارٍ عَنِيدٍ)) [هود: ٥٩].

ومثل قوم لوط :

((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِيلٍ مَّنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)) [هود: ٨٢-٨٣].

ومثل قوم شعيب :

((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعِيباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ)) [هود: ٩٤-٩٥].

ثم يبين الله - تعالى - سنته المطردة في عقوبة المجتمعات التي تفشو فيها المعاصي التي يتواطأ عليها المجتمع ويقرها أهله فيقول - عز من قائل - : ((وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبُّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)) [هود: ١٠٢] ، ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا مُصْلَحُونَ)) [هود: ١١٧] .

صور للمعصية الجماعية:

بقي أن نزيد المعصية الجماعية تعريفاً وتحديداً ولا نكتفي بأمثلة من القرآن الكريم ، بل ننظر في واقعنا - نحن المسلمين - لنرى هل لأمثال هذه المعاشي وجود ؟

فنقول: المعصية الجماعية هي التي يقترفها جماعة من الناس (شعب ، قبيلة، أهل مدينة، أو قرية,...) وتصبح شيئاً مألوفاً عندهم ، وقد يفعلها الجيل بعد الجيل منهم ، ولو استنكرها عليهم أحد واجهوه بالإنكار عليه ومحاربته حرباً جماعية أيضاً لأنهم يرون فيه تهديداً لوجودهم، بل لوجودهم أحياناً ! وهكذا يصبح هذا المنكر أمراً معروفاً ومطلوباً، وقد يصبح شعاراً لهم يُعرفون به ، ويفتخرن به ، ويمتازون به عن غيرهم. ولو نظرنا في واقعنا اليوم لوجدنا كثيراً من هذه المنكرات التي أصبحت قوانين ودساتير محمية بقوة السلاح وبسلطة الدولة . وأن من يتجرأ على نقدها وبيان عيوبها وخطئها وخطئها يعرض نفسه لحرب شاملة على كل صعيد: مادياً ومعنوياً. وليس المقصود بهذه المنكرات ما يتبادر إلى أذهان الكثرين لأول وهلة كالذرنا وشرب الخمر مثلاً بل إن دائرة المنكرات دائرة واسعة تشمل هذه وتشمل غيرها من المبتدعات التي فرقت المسلمين وأضعفـت صفوفهم وأذهبـت ريحـهم وجعلـتهم طعـمة لكل طامـع ، وضـحـكة لكل سـاخـر ، ولـعـبة لكل عـابـث ، كالنـعـرة الـقـومـية والـقـبـلـية والـإـقـلـيمـية ، والـجـنـسـية ، والـحـزـبـية ، والـمـذـهـبـية ، والتـعـصـبـ لـهـذـهـ الأـصـنـامـ التـيـ لاـ تـقـلـ خـطـراـ عـنـ الأـصـنـامـ التـيـ حـطـمـهـاـ أـبـوـ الحـنـيفـيـةـ (إـبـراهـيمـ الـخـلـيلـ)ـ وـحـطـمـهـاـ مـنـ بـعـدـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـدـهـ يـوـمـ فـتـحـ مـكـةـ وـهـوـ يـتـلـوـ : ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا)) [الإسراء: ٨١] .

والعذاب والبأس الذي أنزله الله بمن يتعارفون ويتميزون بهذه المنكرات ويفتخرن بها ويبذلون الأموال الطائلة في استتباتها وترسيخها بين الناس - قد يكون من الكوارث والجوانح التي تجعلهم نكالاً لمن يأتي من بعدهم كما عذب القرون السابقة، وقد يكون غير ذلك من البلاء والفتنة التي تسلبهم نعمة الأمان والاستقرار وتضر بهم بالخوف والجوع والذلة والمسكنة كما قال - تعالى - : ((قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْئاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)). [آل عمران: ٦٥] .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه لما نزل قوله - تعالى - ((قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ)) قال : «أعوذ بوجهك ، ((أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ)) قال : أعوذ بوجهك ، ((أوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْئاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)) ، قال : هاتان أهون» .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم- أن الله لن يستأصل هذه الأمة كما استأصل الأمم السابقة، بل سيكون عقابه لها في الدنيا أن يلبسهم شيئاً ويدنيق بعضهم بأس بعض ، فقد قال صلى الله عليه وسلم- : «إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها وغاربها، وأن ملوك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها ، وإنني أعطيت الكتين الأبيض والأحمر وإنني سألت ربـي - عز وجل - أن لا يهلك أمتي بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً فيهـلـكـمـ شـيـئـاًـ وـلـاـ يـذـيقـ بـعـضـهـمـ بـأـسـ بـعـضـ ،ـ فـقـالـ :ـ يـاـ مـحـمـدـ إـذـاـ قـضـيـتـ قـضـاءـ فـإـنـهـ لـاـ يـرـدـ ،ـ وـإـنـيـ قـدـ أـعـطـيـتـكـ لـأـمـتـكـ أـنـ لـاـ أـهـلـكـهـمـ بـسـنـةـ عـامـةـ ،ـ وـأـنـ لـاـ أـسـلـطـ

عليهم عدواً من سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ، وبعضهم يقتل بعضًا ، وبعضهم يُسبّي بعضًا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضللين ، فإذا وضع السيف في أمتي لم يُرفع عنهم إلى يوم القيمة » [ابن كثير: ١٤١/٢] (١) .

والناظر في حال الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل إلى اليوم يرى محنتها الرئيسية ليست المجاعات ، ولا الفقر ، ولا تسلط الأعداء عليها بل تسلط بعضهم على بعض ، وتفرق كلمتهم ، والتيه الذي يعيشون فيه بسبب الدعوات الهادمة المفرقة لأهدافهم ، المشتتة لجهودهم . فالمسلمون لم يؤتوا من ضيق ذات اليد ، ولا من نقص في الموارد بل أتوا من غفلتهم عما يسبب التفرق لهم من نكبات ، ومن قصر النظر الذي يجعلهم يفضلون الأدنى على الأبقى ، ويضخون بالمصلحة العامة في سبيل المصلحة الخاصة ، ومن إخلالهم بتطبيق قاعدة الولاء والبراء ، واضطرابهم في فهم الأولويات ؛ فتراهم يصرفون الجهود العظيمة على السنن والمندوبات ويهملون الفروض والواجبات ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْبَى أَمْنُوا وَأَتَقْوَى لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَّبُوا فَلَأَخْذُنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرْبَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْتَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرْبَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)) [الأعراف: ٩٩-٩٦] .

الهوامش :

١- انظر مزيداً من الروايات في تفسير الآية رقم ٦٥ من سورة الأنعام في تفسير ابن كثير .

الخصائص المميزة لمنهج أهل السنة والجماعة

- ٢ -

هشام إسماعيل الميزة الرابعة : عقيدة منصورة :

وهي التي أخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم - بقوله : « لا تزال طائفه من أمتي قائمه بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس » (١) . وأهل السنة والجماعة - وإن مر عليهم زمان قل فيه وجودهم - إلا أنهم يبقون ظاهرين على غيرهم بالسيف والسلطان ، أو بالحجّة والبيان ، أو بهما معاً ، وظاهرين أي أنهم مشهورون غير مستترین (٢) .

وهم منصورون بدلالة هذا الحديث ، وبدلالة قوله - تعالى - : ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَسْهَادُ)) [غافر: ٥١] .

ومن عجيب نصر الله - عز وجل - لأهل السنة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله : " وقد تبين لك أن الطوائف التي في كلامها ما يعارضون به كلام الشارع من العقليات - سواء عارضوا به في الظاهر أو الباطن - كل منهم يقول جمهور العقلاة: إن عقلياته تلك باطلة ويبينون فساد عقلياته بالعقليات الصحيحة الصريحة التي لا يمكن ردّها " (٣) .

وهذا من نصر الله - عز وجل - لأهل السنة في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة ففي عدة مواطن ، منها ما قاله ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله - تعالى - : ((يَوْمَ تُبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتُسُودُ وُجُوهٌ)) [آل عمران: ٦١] ، قال : تبييض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة (٤) . وكونها عقيدة منصورة يدل على أنها ثابتة لا تتبدل ولا تتغير على مر العصور والأزمان ، وثباتها ناشئ من ثبات مصدرها ، بينما نجد أن الفرق الأخرى إما أن يحدث تطور في معتقداتها كما في المرجئة والخوارج وغيرهم ، وإما أن تنفرض ولا يبقى لها أثر إلا في بطون الكتب ، كثير من فرق الخارج وغيرهم.

الميزة الخامسة : عقيدة وسط (الوسطية) :

قال الله - سبحانه وتعالى - : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: ٤٣] قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : "رأى أن الله - تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسيطهم في الدين ، فلا غلو فيه، غلو أهل النصارى الذين غلو بالترهيب وقيل لهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها" (٥).

والله - عز وجل - "جعل هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين ، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفا منهم كاليهود، بأن آمنوا بهم ، كل على الوجه اللائق بذلك. ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة، والمطاعم ، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات ، وحرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم ، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج ، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح ، وحرم عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمة من الدين أكمله ، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضليها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ، ما لم يهبه لأمة سواهم ، فلذلك كانوا أمة وسطاً، كاملين معتدلين ، ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط ، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ، ولا يحكم عليهم غيرهم" (٦).

وكذلك هذه الأمة وسط في التصور والاعتقاد ... أمة وسطاً في التفكير والشعور ، لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، و لا تتبع - كذلك - كل ناعق .. إنما تتمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب ، وشعارهم الدائم : "الحقيقة ضالة المؤمن أَنَّى وجدها في تثبت ويفيقن".

أمة وسط في التنظيم والتسيق... لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر ، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب ، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتذبيب ، وتケفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب ، وتزاوج بين هذه وتلك ، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان ، ولا تكلهم - كذلك - إلى وحي الوجدان ، ولكن مزاج من هذا وذاك (٧) . قال ابن تيمية : "وكذلك أهل السنة في الإسلام متواطعون في جميع الأمور فهم في "علي" وسط بين الخارج والروافض ، وكذلك في عثمان وسط بين المروانية وبين الزيدية، وكذلك في سائر الصحابة وسط بين الغلة فيهم والطاغعين عليهم ، وهم في الوعيد وسط بين

الخوارج والمعزلة وبين المرجئة، وهم في القدر وسط بين القدرة من المعزلة ونحوهم ، وبين القدرة المجبرة من الجهمية ونحوهم ، وهم في المعزلة وسط بين المعطلة وبين الممثلة .
والمقصود أن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم- فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة إلا بقول فاسد، لا ينفردون قط بقول صحيح ، وكل من كان عن السنة أبعد كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر" (٨).

الميزة السادسة : عقيدة عادلة :

يقول الله - عز وجل - : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبُغْيَ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) [النحل: ٩٠] ، ويقول - سبحانه وتعالى - : ((وَلَا يَحْرُمُنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَفْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [المائدة: ٨] .
قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : "يعني بذلك - جل ثناؤه - : يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائهم وأعدائهم ، ولا تجروا في أحکامكم ، وأفعالكم ، فتجازوا ما حددت لكم في أعدائهم لعداوتهم لكم ولا تصرروا في ما حددت لكم من أحکامي وحدودي في أوليائهم لولائهم لكم ، انتهوا في جميعهم إلى حدي ، واعملوا فيه بأمرِي" (٩).

ويقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - : "ولا يجر منكم أى لا يحملنكم شنآن قوم : أي بغضهم على ألا تعدلوا كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا ، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له ، فلو كان كافراً أو مبتداعاً فإنه يجب العدل فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق ، لا لأنه قاله ولا يرد الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظلم للحق" (١٠) .

من عدل أهل السنة أنه وجد من العلماء من كان له قدم خير وسبق في نشر الإسلام والدفاع عنه ، ويكون قد وقعت منه أخطاء عقدية اجتهاداً منه في طلب حق لم يوفق له ، فأمثال هؤلاء العلماء ينبغي أن يسلك فيهم مسلك الوسط ، فلا إفراط في مدحهم ولا تفريط في ذمهم ، بل ينبغي أن يقال فيهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن بعضهم : "قلت أبوذر - الهرمي - فيه من العلم والدين والمعرفة بال الحديث والسنّة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحسن والفضائل ما هو معروف به. وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم كأبي نصر السجزي ، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني ، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين ، بما ليس هذا موضعه..."

ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مسامع مشكورة، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى عليه من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف...

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع من أهل العلم والدين ، والله - تعالى - يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِإِيمَانٍ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) [الحشر: ١٠].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم- وأخطأ في بعض ذلك ؛ فالله يغفر له خطأه ، تحقيقاً للدعاء الذي استجاب الله لنبيه وللمؤمنين ، حيث قالوا : ((رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ تَسْبِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)) [البقرة: ٢٨٦] .

ومن اتبع ظنه وهوه ، فأخذ يشنع على من خالقه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده ، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزم نظير ذلك في المتأخرین ، لكثره الاشتباه والاضطراب ، وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة، الذي به يحصل الهدى والصواب ، ويزول به عن القلوب الشك والارتياح" (١١).

وما ذكره ابن تيمية يبين عدل أهل السنة، ويبيّن كذلك منهجهم مع من أخطأ أو ضل في بعض مسائل الدين. ومن اتّخذ هذا المنهج العدل في نقد الآخرين - سواء كانوا موافقين له أو مخالفين - الحافظ الذهبي رحمه الله - وذلك في ترجمته لكثير من العلماء، حيث يصف كل من ترجم له بعلم وعدل وإنصاف - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً (١٢).

كما يتجلّى عدل أهل السنة والجماعة في كتب الجرح والتعديل ، حيث إنهم يذكرون أن فلاناً صدوق ، وإن كان من أهل البدع ، وأن فلاناً ضعيف سيّي الحفظ وإن كان من أهل السنة.

وانظر على سبيل المثال ما قاله العلماء في عبد الله بن لهيعة، وهو من محدثي أهل السنة والجماعة: قال عنه ابن حجر في التقريب (٣٥٦٣): صدوق خلط بعد احتراق كتبه.

وقال عن عمران بن حطان الخارجي : صدوق . إلا أنه كان على مذهب الخوارج. كما في التقريب (٥١٥٢).

فانظّر إلى اختلاف ما بين الرجلين في المعتقد، وإلى وصف كل منهما بأنه صدوق ، فكون ابن لهيعة من أهل السنة لم يكن دافعاً لعلماء الجرح بأن يوثقوه ، كما لم تكن بدعة عمران بن حطان سبباً في تضعيشه ، بل وصفوا كلاً منهما بما يستحق من جهة حفظه وضبطه ، وذكر ما فيهما من بدعة أو سنة، والأمثلة في غيرهما كثيرة.

وفي المقابل إذا نظرنا إلى ما كتبه بعض أهل البدع - كالجواثري في كتابه "تأنيب الخطيب"- فهو لم يؤنّب الخطيب البغدادي فقط ، بل جرح كثيراً من ثقات علماء أهل السنة، بل حتى بعض الصحابة لم يسلمو منه ، كأنس بن مالك - رضي الله عنه وأرضاه - (١٣).

وفي الوقت نفسه قام بتوثيق كثير من ضعفاء أهل الأهواء والبدع (١٤) ومن هنا يتضح لنا عدل أهل السنة والجماعة، وجور أهل البدعة والضلالة.

الميزة السابعة: عقيدة سهلة ميسرة :

فهي - كما قلنا - عقيدة ربانية المصدر، تعتمد على الكتاب والسنة، والله - عز وجل - يقول عن كتابه في كتابه : ((ولَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ)) [القمر:١٧] ويقول - سبحانه وتعالى - عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم - : ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل:٤] ، وكل من يطلع على الأدلة من الكتاب والسنة أو من كلام السلف الصالح على أمور الإسلام عامة، ومسائل العقيدة خاصة - يجدها ميسرة سهلة لا غموض فيها ولا لبس ولا تكلف ، وما يدل على ذلك أن وقت نزول القرآن ، ووقت تحدث النبي صلى الله عليه وسلم- إلى أصحابه في مجالسه العامة، كان يوجد العالم والجاهل ، وسرريع الفهم وبطيئه ، بل كان يحضرها الصغار والأعراب ، الذين يأتون من البداية لبعض حوائجهم ، وكلهم كان يسمع الآيات القرآنية التي تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأحاديث النبوية وهو يقولها لأصحابه - رضوان الله عليهم - ثم لا يشكّل عليهم فهمها إلا ما ندر .

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - :

"إن التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها ، ليسعه الدخول تحت حكمها" (١٥) .

ثم يقول عن الأمور العقدية بأنها :

" تكون من القرب للفهم والسهولة على العقل بحيث يشترك فيها الجمهور ، من كان منهم ثاقب الفهم أو بليداً ، فإنها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص ، لم تكن الشريعة عامة ، وقد ثبتت كونها كذلك ، فلابد أن تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ" (٦) .

وأما عقائد أهل البدع والضلال ، فهي جافة غامضة ، صعبة الفهم ، فهم يعتمدون على علم المنطق ، وعلم الكلام ، وفلسفة الوثنين ، أي أنهم يعتمدون على العقل البشري المجرد عن الوحي الإلهي والنور الرباني.

بل شهد من رجع إلى الحق منهم ، أنهم كانوا في ضلال وحيرة عظيمة ، لا تماثلها حيرة ، وأنهم كانوا في شك من دينهم ، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) .

وأما أهل السنة والجماعة فهم - والحمد لله - في عافية من الشك والارتياح ، ومن الحيرة والضلال الذي وقع فيه أهل البدع بدعهم . ونجا منه أهل السنة باتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم - والحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

١ - أخرجه الإمام أحمد ١٠١/٤ ، والحديث مخرج في الكتب الستة إلا النسائي ، وانظر الألفاظ الصحيحة في صحيح الجامع من رقم (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦).

٢ - انظر : فتح الباري ٤٠٧،/١٣

٣ - انظر : درء تعارض العقل والنقل (٣١٧-٣١٨/١٠).

٤ - تفسير ابن كثير (٣٩١/٢).

٥ - تفسير ابن جرير الطبرى ، ١٤٢،/٣

٦ - تفسير السعدي ، ١٥٨،/١

٧ - في ظلال القرآن ، ١٣١/١ باختصار.

٨ - انظر : منهاج السنة النبوية ٥، ١٦٨-١٧٣ .

٩ - جامع البيان للطبرى ، ٩٥،/١٠ ،

١٠ - انظر : تفسير السعدي ، ٢٥٩،/٢

١١ - انظر : درء تعارض العقل والنقل ، ١٠٣،-١٠١/٢

١٢ - انظر على سبيل المثال "سير أعلام النبلاء" ، ١٤،١٨٣/١٤،٥٢٦/١١،٣٦١/٧ وغيرها من المواطن.

١٣ - الطليعة للعلامة المعلمي ، ٦٥ ،

١٤ - انظر : كتاب التكيل (قسم الترافق) ، ٨٤/١ وما بعدها .

١٥ - المواقف ، ٨٨،/٢

١٦ - المواقف ، ٨٨/٢ .

أخلاق

الوفاء بين الجاهلية والإسلام

محمد الناصر

يعتبر الوفاء من أخلاق العرب الأصيلة، حيث إن الرجل منهم كان ينطق بالكلمة فتصبح عهداً، عليه أن يفي به وإلا عرض شرفه للتجريح ، وكان الغدر معرة يتجاذبون عنها، وإذا ما غدر أحدهم رفعوا له لواءً بسوق عكاظ ليشهروا به ، وفي ذلك يقول الحادرة (قطبة بن محسن) ، إنهم لم يغدوا وإنهم لن يأتوا ما يشక حليفهم فيهم : (١)

أَسْمَىٰ وَيَحِكٍ هُلْ سَمِعْتِ بِعَذْرَةٍ رُفِعَ الْلَوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمِعٍ
إِنَا نَعْفُ فَلَا نُرِيبُ حَلِيفَنَا وَنَكْفُ شُحّ نَفْوِنَا فِي الْمَطْمَعِ

وبسبب اهتمام العرب بهذا الخلق نصروا الحلفاء، وذبوا عن الجيران ، وقد كان هذا الخلق متعدد الأشكال والألوان ، فوفاء لمن يجاورون ، ووفاء لمن يعا هدون ، ووفاء لمن يحبون ، ووفاء لمن يصنع معهم معروفاً (٢).

ولم تكن أخلاق القوم نظرية صورية، وإنما كانت واقعاً ضربوا به الأمثال وهي كثيرة نكتفي بنماذج منها.

وخير نموذج لذلك ما فعله عبد الله بن جدعان في حرب الفجار التي دارت بين كانة وهو زن ، إذ جاء حرب بن أمية إليه وقال له : احتبس قبلك سلاح هو زن ، فقال له عبد الله : أبالغدر تأمرني يا حرب ؟! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها إلا سيف ، إلا ضربت به ، ولا رمح إلا طعنـت به ما أمسكت منها شيئاً .

وكان من وفائه أن العرب إذا قدمت عكاظاً دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جدعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وجهم ، ثم يردها عليهم إذا ظعنوا من مكة إلى مضارب قومهم (٣).

ومن أنواع الوفاء : وفاء العربي لأهل عصبيته، فليس له أن يخالفهم مهما كانت درجة الخلاف معهم لأنه واحد منهم وما يصيّبهم يصيّبه، وقد عاب الناس الغادر وغيروا به، فإذا شتموا شخصاً، قالوا له : يا غدر (٤).

إن قصص الوفاء فريدة عند أهل الجاهلية، ومن ضرب بوفائه المثل : عمير بن سلمي الحنفي ، إذ استجار به رجل من بني عامر بن كلاب ، وكانت معه امرأة جميلة، فرأها (قرين بن سلمي الحنفي) أخو عمير، وصار يتحدث إليها، فنهاها زوجها بعد أن علم فانتهت فلما رأى قرين ذلك وثبت على زوجها فقتله ، وعمير غائب ، فأتى أخو المقتول قبر سلمى وعاد به ، فلما قدم عمير أخذ أخاه وأبيه إلا قتلـه أو أن يعفو عنه جاره ، وأبى أخو المقتول أخذ الديـة ولو ضـوعـتـ، فأخذـ عندـهـ عمـيرـ أـخـاهـ وـقـتـلـهـ لـغـدـرـهـ وـفـاءـ لـجـارـهـ (٥).

كان الجاهلي إذا قال كلمة وفى بها، ولو أدت به إلى القتل، أو إلى قتل قريب عزيز عليه، فالرجل الحنفي قتل أخيه، كل ذلك وفاء بالعقود والمواثيق، وأين من هذا الوفاء ما يحصل من غدر في أيامنا هذه؟ وما بال الوفاء يئن جريحاً عند كثير من الناس حتى الطيبين منهم؟! فكثـرتـ الشـكـوىـ وـعـمـ البـلاءـ؟!

على أن هذا الخلق وإن اتصف به أكثر العرب إلا أن لكل قاعدة شواد والأمور نسبية، إذ كان الغدر (ذلك) منتشرأً معروفاً، يقول امرؤ القيس ذاكراً انتشار الغدر بين بعض القوم (٦) :

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقررت به العينان بدلـتـ آخرـاـ
ذلكـ جـديـ ماـ أـصـاحـبـ صـاحـبـاـ منـ النـاسـ إـلاـ خـانـيـ وـتـغـيرـاـ

ويقول أوس بن حجر (٧) :

وـإـنـىـ رـأـيـتـ النـاسـ إـلاـ أـقـلـهـمـ خـافـ العـهـودـ يـكـثـرـونـ التـنـقـلاـ

الإسلام والوفاء :

إن الوفاء الذي كان في الجاهلية يتمثل في حفظ جوار - وعدم نقض حلف ، أو أداءأمانة - تحول في الإسلام إلى حفظ للعهود عامة، وأداء للذمم والأمانات عامة، سواء كانت للأصدقاء أم للأعداء، وذلك استجابة لأوامر ربهم وتأسياً بسيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، الذي قال فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان» متفق عليه.

وقد نوه القرآن الكريم بسمو فضيلة الوفاء حين جعلها صفة للأنبياء فقال في سورة النجم : ((وابراهيم الذي وفي)) [النجم: ٣٧] ، وذلك أن إبراهيم - عليه السلام - بذل غاية جهده في كل ما طُول به من ربه ، فبذل ماله في طاعة الله ، وقدم ولده إسماعيل قرباناً لله حتى فداه ربه ، واحتمل الابتلاء في الاحتراق بالنار في سبيل الله حتى جعلها الله برداً وسلاماً عليه ، وأشار القرآن إلى وفاء إسماعيل - عليه السلام - في قوله : ((وانذكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا)) [مريم: ٥٤] ، فقد كان إسماعيل مشهوراً بهذه الصفة، وحسبنا أنه وعد بالصبر على الذبح وقال لأبيه : ((افْعَلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) [الصفات: ١٠٢] ؛ فوفى بعهده وصدق في وعده فكان من المخلصين (٨) .

ومن أمثلة وفائه (عليه الصلاة والسلام) - وهي كثيرة - موقفه يوم الفتح من عثمان بن طلحة حاجب الكعبة في الجاهلية، عندما طلب من علي - رضي الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده أن يجمع لبني هاشم الحاجة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم : «أين عثمان؟» فدعى له فقال : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء» (٩) .

وبعد صلح الحديبية عندما جاء أبو بصير هارباً من مكة، وجاء رجلان من قومه يطلبان رده حسب الشروط ، فأبى النبي إلا أن ينفذ شروط الصلح ، ولما تألم أبو بصير من ذلك حتى لا يرجع إلى المشركين فيفتتن عن دينه - قال الرسول صلى الله عليه وسلم - : «يا أبو بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت من العهد، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومحرجاً» وقد حق الله تعالى - ظن رسوله ؛ إذ وجد لهؤلاء المستضعفين الفرج والمخرج كما هو معروف في كتب السيرة .

وصار موكب الصحابة الظاهر على هدي هذه الأخلاق الوفية، يضخون بالغالي والرخيص ، امتثالاً لأوامر ربهم ، وأسوة بوفاء نبيه ، واتبعتهم في ذلك الأجيال المؤمنة على مر العصور.

والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس ، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية، وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبداً لأنها قاعدة الثقة، التي ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم (١٠) . قال - تعالى - : ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا)) [النحل: ٩١].

ولعل أجمع الآيات القرآنية لأنواع الوفاء قول الله - تبارك وتعالى - في سورة المائدة : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ)) ، ولذلك قال رشيد رضا : إن أساس العقود الثابت في الإسلام هو هذه الجملة البلاغة المختصرة المفيدة : ((أَوْفُوا بِالْعُهُودِ)) ، لأنها تفيد أنه يجب على كل مسلم أن يفي بما عقده وارتبط به ، فكل قول أو فعل يعده الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به كما أمر الله - تعالى - ما لم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام" (١١).

الإسلام يحارب الغدر والخيانة :

عندما مجده الإسلام فضيلة الوفاء حمل أيضاً على الخيانة والغدر حتى مع الأعداء، يقول - سبحانه وتعالى:- ((وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا)) [المائدة: ٢] وقال أيضاً : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانَ كَفُورٍ)) [الحج: ٣٨].

وقال صلى الله عليه وسلم : «إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيمة، يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال هذه غدرة فلان» رواه البخاري.

ولقد حرم الإسلام اتخاذ المصلحة سبباً في نقض العهد، وكان بعض المشركين من العرب يبرر لنفسه نقض عهده مع الرسول صلى الله عليه وسلم- بأن محمدًا ومن معه قلة ضعيفة بينما قريش كثرة قوية فنبههم إلى أن هذا ليس مبرراً لأن يتذدوا قسمهم غشاءً وخديعة : ((تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ)) [النحل: ٩٢] أي بسبب كون أمة أكثر عدداً وقوة من أمة، وطلبًا للمصلحة مع الأمة الأقوى.

ويدخل في مدلول النص أن يكون نقض العهود تحقيقاً لما يسمى الآن مصلحة الدولة.. فالإسلام لا يقر مثل هذا المبرر ويجزم بالوفاء بالعهد.. وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة الإسلامية وبناء الدولة الإسلامية.

لقد دخلت في الإسلام جماعات وشعوب بسبب ما رأوا من وفاء المسلمين بعهدهم ومن صدقهم في وعدهم ، ومن إخلاصهم في إيمانهم.. فكان الكسب أضخم بكثير من الخسارة الوقتية الظاهرية التي نشأت عن تمسكهم بعهودهم (١٢). هكذا كانت علاقة المسلمين حتى مع أعدائهم ، وفاءً مرتبطاً بالعقيدة لا يتقييد بمنفعة زائلة، ففي الحروب الصليبية - في عهد صلاح الدين الأيوبي - كان المسلمون يفون بعهودهم رغم كثرة الغدر من قبل الصليبيين امتنالاً لقوله - تعالى - : ((وَإِمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خَيَانَةً فَانِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)) [الأنفال: ٥٨].

فالمياثق لا يُنقض غرداً حتى حين تخفف الخيانة وإنما يعلم العدو أن الميثاق قد انتهى بسبب الخيانة من جانبه ، وأن العلاقة هي علاقة الحرب (١٣).

والغدر من شيم أخلاق أوروبا الحديثة، ومعاهدات الحلفاء مع العرب في القرن الماضي ونقضهم للعهود، وتقسيمهم للبلاد وتشريدهم للعباد خير شاهد على ما نقول.

وما تزال هذه المفاهيم المنحرفة هي السائدة في عالم السياسة شرقاً وغرباً مع الأسف ، ولكن حذر المؤمنين - الذين يعبدون الله على بصيرة - لا يفسح المجال للأعيب الساسة وخبث الماكرين. وإذا كانت هذه أخلاقنا مع الأعداء، فما بالنا نفرط بهذا الخلق مع الأصدقاء، وأصحاب الفضل والسابقة من أهل العلم والتربيـة والتوجيه؟!

بل ولم لا نكون أكثر وفاءً مع الأهل والإخوة ومع من نعول ؟! ولم ننسى الوفاء مع الجار الجنب وبقية الجيران والأصحاب؟! وبذلك تسود المحبة وتعم الثقة بين المسلمين ، ونعيد إلى مجتمعاتنا ما كان عليه سلف هذه الأمة من استقامة وبر ووفاء!

إن الشكوى باتت مريرة في هذه الأيام بسبب انتشار ظاهرة الغدر، وما تجره من فقدان الثقة في العلاقات الاجتماعية عامة، وقلما تتجو منها مؤسسة في عالم التجارة والاقتصاد، حيث لا يراعي كثير من الشركاء في أموال من ائتمنوه إلا ولا ذمة، فتمحق البركة وتكثر الخسائر.

حتى المؤسسات التربوية - تلك التي كان يُتوقع منها أن تغرس الفضيلة ونور العلم والتوجيه - بات بعضها يضرب أمثلة سيئة من الغدر والكيد وانعدام الوفاء.

إن ترجمة أخلاق السلف إلى شباب هذه الأمة ليست نظريات تلقى في فراغ ، ولا محاضرات وادعاءات ، إنها قدوة حسنة، وسلوك واقعي فذ في عالم الناس والشباب خاصة.

إنها واجب ديني تفرضه علينا تعاليم ديننا ومصلحة أمتنا وأمانة البالغ ، إن تصورات العقيدة إذا لم تتحول إلى سلوك عملي ينسجم مع هذه التصورات - سوف يوقع الأجيال الناشئة في إحباط شديد، وتمزق مرير، وتساؤل عجيب بسبب الانفصال بين النظرية والتطبيق.

إنها لأمانة ضخمة في أعناق دعاء هذا الدين ، فليصدقوا الله في أداء هذه الأمانة، ولি�ضرروا النماذج الحية من الوفاء ومكارم الأخلاق ، والأمل كبير في الأجيال المؤمنة الجادة لتعود بهذه الأمة إلى سابق مجدها ونظافة أخلاقها، وصفاء عقيدتها، والله ولي التوفيق .

الهوامش :

- ١ - المفضليات : رقم ٨ ، ص ٤٥
- ٢ - انظر : الحياة العربية في هذا الموضوع للحوفي ، ص ٣٥٨ ، والمعتقدات والقيم ، محمد صيام ، ص ٣٧٠ ، وما بعدها.
- ٣ - انظر : الأغاني ، ٦/٢٢ ، طبعة دار الثقافة.
- ٤ - تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ، ٤٠٢/٤ .
- ٥ - المحبر ، ص ٣٥٢ لابن حبيب.
- ٦ - الديوان ، ص ٦٩ ، وانظر : ظاهرة الغدر في المعتقدات والقيم ، ص ١٠٩.
- ٧ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ٢٠٨،/١
- ٨ - أخلاق القرآن للشرباصي ، ١٩٤،/٢
- ٩ - انظر : زاد المعاد ، ٢٩٣/٢ ، تحقيق محمد الفقي .
- ١٠ - الظلل : ٢١٩١،/٤
- ١١ - عن كتاب أخلاق القرآن للشرباصي ٢٠٨،/٢
- ١٢ - في ظلال القرآن ، ٤/٢١٩١-٢١٩٢
- ١٣ - انظر : جاهلية القرن العشرين ، ١٦٠-١٦١.

**خواطر في الدعوة
الاستبصار عند الفتنة**

محمد العبدة

عندما كتب الإمام أبو المعالي الجوهري كتابه في السياسة الشرعية المسمى (غياث الأمم في التهاب الظلم) أراد أن يقول إنه عندما يحزب المسلمين أمر ، وتأتي الفتنة من كل مكان تشوش على المسلم ، فلا يدرى وجه الحق ولا أين يتوجه ، ويصبح الحليم حيران ، فالمعنى عليه عندئذ هم العلماء الذي يبصرون الناس بالحقيقة ويبينون الصواب لأنهم أدرى الناس بمواقع الفتنة ، وكيفية المخرج منها.

وذلك لما فقهوا واستأنسوا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولما يعلمون من الترجيح بين الصالح والأصلح ، والفاسد والأشد فساداً، ويعلمون قاعدة دفع الضرر ، رفع الحرج ، ومثل هذا الصنف من العلماء يجب أن يكون على علم وفقه دقيق بالواقع كما هو على علم واسع بالقواعد الشرعية، وكيف تطبق على أرض الواقع .

إن الملاذ الذي يلجأ إليه العوام هم العلماء والدعاة، فهم المتبعون ، ولا يجوز أبداً أن يكونوا هم التابعين يتحسّسون آراء الشارع وتوجهات الناس ، فيؤيدون هذا الاتجاه أو ذاك إرضاءً لهم ومسايرةً لعواطفهم الفائرة، وحتى لا تحرق أوراقهم .

هناك بعض أئمة المساجد من يعلم أن ذاك الأمر بدعة ولكن لا يستطيع مخالفته عوام المسجد ! وكذلك نجدهم في الأمور الكبيرة التي تهجم على المسلمين فلا يدركون أين المذهب ، وتنفرق بهم السبيل ، هذا الصنف ممن يتصرّد للزعامّة، ويداري ويجامّل على حساب الحق ، فهو مقود لا قائد . وكان الأولى به أن يصدّع بالحق في وقت يكون الناس في أشد الحاجة إلى العلماء الذين لا يجامّلون ولا يداهبون .

كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن الشر والفتنة مخافة أن يقع فيها، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسأله ويستشيره في موضوع الفتنة ، فهل يتبصر الدعاة طريقهم عندما تشتبه الأمور ، ثم يقومون بتبييض الناس حتى لو أدى ذلك إلى معارضتهم واستغراقهم ، فإن هذه مهمتهم ، وهذه هي الأمانة التي نیطت في أعناقهم (الْتَبِيَّنُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُُّمُونَهُ) [آل عمران: ١٨٧] .

دراسات

أحاديث الفتنة والفقه المطلوب

د. مأمون فريز جرار

إن مما ينبغي أن يلفت إليه النظر ويوجه إليه الاهتمام ذلك الباب الذي نجده في كثير من كتب الحديث النبوى تحت عنوان "كتاب الفتنة" أو "الملاحن وأشراط الساعة" ، فإن فيه أحاديث بين فيها النبي صلى الله عليه وسلم- ما يكون من الفتنة التي تقع بين المسلمين، أو الأحداث التي ستكون بينهم وبين غيرهم من الأمم والملل ، ونجد في بعضها تصريحاً بيّناً وفي بعضها الآخر رموزاً وإشارات موحية .

إن علينا أن نسأل أنفسنا: لم حدث النبي صلى الله عليه وسلم- بذلك الأحاديث؟ ولم كان منه ذلك الاهتمام الشديد بالفتنة وأخبارها حتى كان الصحابة يُصابون بشيء من الذعر لكثره حديثه عنها؟!

يسْتَيقظ - عليه الصلاة والسلام - مرة من نومه فتسمعه زوجه السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - يقول : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ؛ فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وعقد سفيان - أحد رواة الحديث - بيده عشرة) وتقول له السيدة زينب : يا رسول الله : أنهلك وفيينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبر»(١).

ويشرف على أطم من آطام المدينة فيقول للأصحاب : «هل ترون ما أرى؟ إنني لأرى مواقع الفتنة خلال بيوتكم كموقع القطر» (٢) . ويحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم- عن فتن بعيدة عن عصرهم ويهمّ بها أي اهتمام ، ويستعيد منها ويعلم المسلمين أن يفعلوا ذلك ، ومنها فتنة الدجال (٣) ، وإن من الثابت في صحاح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم- قص على أصحابه ما سيكون من أحداث الدنيا وفتنتها حتى يوم القيمة، عمّ بذلك الصحابة كلهم ، وخص بعضهم بما لم يقله على الملا . ولنستمع إلى أبي زيد عمرو بن أخطب يحدثنا بهذا الحديث العجيب ، قال : "صلى بنا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- الفجر وصعد المنبر، خطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر خطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر خطبنا حتى غربت الشمس، فأخبر بما كان وما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا" (٤).

ولعل حذيفة - رضي الله عنه - يشير إلى هذه الخطبة في قوله : "لقد خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه ، وجده من جده ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت ، فأعرف ما يعرف ، الرجل إذا غاب عنه فرأه فعرفه" (٥). ولسائل أن يسأل أين هذه الخطبة؟ وهل رويت بنصها في كتب السنة؟ والذي أراه أنها رويت مقطعة في أحاديث الفتنة ، وفي الحديثين السابقين ما يشير إلى نسيان كثير من الصحابة لها ، "فأعلمنا أحفظنا" و "علم من علمه وجده من جده" ثم حال حذيفة مع بعض الفتنة التي يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- عنها بعد وقوعها! ويبدو أن حذيفة أعلم الصحابة بالفتنة ، فهو يقول : "أخبرني رسول صلى الله عليه وسلم- بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سأله ، إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة" (٦) ..

ويبدو أن حذيفة كان يتحرج من ذكر كل ما يعلم من أمر الفتنة ، خشية أن يكون بعض ما يعلمه مما أسر به النبي صلى الله عليه وسلم- إليه دون غيره من الصحابة، وهذا ما يبدو في قوله التالي: "والله إني لا علم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول صلى الله عليه وسلم- أسر إلى ذلك شيئاً لم يحدثه غيري ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتنة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو يعد الفتنة : «منهن ثلاثة لا يذنون شيئاً ، ومنهن فتن كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار» ، قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري" (٧).

ومن الأمثلة على معرفة حذيفة بتفاصيل الأحداث ما يرويه محمد بن سيرين عن جذب قال : "جئت يوم الجرعة فإذا رجل جالس ، فقلت : ليهرقن اليوم هنا دماء ، فقال ذاك الرجل : كلا والله ، قلت : بل والله ، قال : كلا والله. قلت : بل والله ، قال : كلا والله ، إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- حدثنيه . قلت : بئس الجليس لي أنت منذ اليوم ، تسمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فلا تنهاني؟ ثم قلت : ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه ، وأسئلته ، فإذا الرجل حذيفة" (٨).

ومن ذلك ما يرويه حذيفة عن حوار دار بينه وبين عمر عن الفتنة ، وذلك في قوله : "كنا جلوساً عند عمر - رضي الله عنه - فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم- في الفتنة؟ قلت : أنا كما قاله ، قال : إنك عليه (أو عليها) لجريء. قلت : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تکفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال : ليس هذا أريد! ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال : أیکسر أم یفتح؟ قال : یکسر! قال : إذا لا یغلق أبداً، قلنا (٩) : أكان عمر یعلم الباب؟ قال : نعم ، كما أن دون الغد الليلة. إني حدثه حديثاً ليس بالأغالطي. فهُبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله ، فقال : الباب عمر" (١٠).

وسياق الحديث نص في أن عمر كان يعرف من أمر تلك الفتنة التي سأله عنها ما كان يعلمه حذيفة.

ويحدث حذيفة أصحابه عن سر تمكنه من أخبار الفتن فيقول : "إن الناس كانوا يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن الخير، و كنت أسأله عن الشر. فأنكر ذلك القوم - أي الذين كان حذيفة يحثهم - فقال لهم : إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك : جاء الإسلام حين جاء فجاء أمر ليس كالجاليلية، وكنت قد أعطيت في القرآن فهماً، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأل عن الشر! فقلت : يا رسول الله ، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ قال : نعم. قلت : فما العصمة يا رسول الله؟ قال: السيف. قال : قلت : وهل بعد هذا السيف بقية؟ قال : نعم ، تكون إمارة على أقداء، وهذه على دخن ، قال : قلت : ثم ماذا؟ قال : ثم تنشأ دعابة الضلاله، فإذا كان الله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه ، وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة، قال : قلت : ثم ماذا؟ قال : يخرج الدجال بعد ذلك ، معه نهر ونار، من وقع في ناره وجب أجره ، وحط وزره ، ومن وقع في نهره وجب وزره ، وحط أجره ، قال : قلت : ثم ماذا؟ قال : ثم ينبع المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة" (١١).

وقد جاء بعد نص الحديث أن قتادة - وهو أحد رواته - فسر الشر الذي تكون العصمة منه بالسيف بالبردة التي حدثت في زمان أبي بكر (رضي الله عنه) .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم- قد حدث أصحابه حديثاً عاماً عن الفتن التي ستحدث في أزمان تالية - قد يعاصرونها وأكثرها يأتي بعد أن يفارقوها الدنيا - فقد عهد إلى بعض أصحابه عهوداً خاصة بشأن فتن يمررون بها وتصيبهم! ، يحدثنا كعب بن عجرة - رضي الله عنه - فيقول : "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم- فتنة فقربها! فمر رجل مقنع على رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- "هذا يومئذ على الهدى، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ، ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقلت : هذا؟ قال : هذا" (١٢).

ولعل في هذا الحديث والأحاديث التالية ما يفسر لنا موقف عثمان في الفتنة التي أودت به! وصبره عليها ونهيه المسلمين عن القتال دونه فيها، وقوله لأبي هريرة الذي كان معه في بيته يوم حصر فيه : "يا أبا هريرة، إنما تراد نفسي، فعلام نقتل الناس؟ أحتسب بنفسي عن الناس" (١٣). وقد روت عائشة - رضي الله عنها - حديثاً كانت قد نسيته في غمرة الفتنة، وذكرته بعد مقتل عثمان وهو ذو دلالة على ما نحن فيه : عن عائشة قالت : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- : «يا عثمان ، إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادرك المنافقون أن تخلي قميصك الذي قمىصك الله فلا تخليه ، فلا تخليه ، فلا تخليه» ، قال النعمان - راوي الحديث - فقلت لعائشة : ما منعك أن تُعلمي الناس بهذا؟ (يعنى أيام الفتنة وحضار الناس لعثمان) ، قالت : أنسيته" (١٤).

وعنها - رضي الله عنها - قالت : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- في مرضه : وددت أن عندي بعض أصحابي. قلنا: لا ندعوك لك أبا بكر؟ فسكت. قلنا: لا ندعوك لك عمر؟ فسكت ، قلنا: لا ندعوك لك عثمان. قال : نعم. فجاء، فخلا به ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم- يكلمه ووجه عثمان يتغير. قال قيس (أحد رواة الحديث) : فحدثني أبو سهلة - مولى عثمان - أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم- عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه. وقال علي في حديثه : وأنا صابر عليه. قال قيس : فكانوا يرونـه ذلك اليوم" (١٥).

وقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري - الذي قص فيه خبر النبي صلى الله عليه وسلم- مع أبي بكر وعمر وعثمان في بئر أريس ، وقد جاء في شأن عثمان قوله لأبي موسى الأشعري : «ائذن له ، وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه»(١٦).

ومن العهود النبوية الخاصة إلى بعض أصحابه ما يدل عليه هذا الحديث : "عن عديسة بنت أهبان قالت : لما جاء علي بن أبي طالب هنا- البصرة- دخل على أبي، فقال : يا أبا مسلم ، ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال : بلـى! قال : فدعا جارية فقال : يا جارية أخرجي سيفي ، قال : فأخرجته ، فسلَّ منه قدر شبر ، فإذا هو خشب !! فقال: إن خليلي وابن عمك حصلَ الله عليه وسلم- عهد إليَّ إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفاً من خشب ، فإن شئت خرجت معك! قال : لا حاجة لي فيك ولا في سيفك"(١٧).

وهذا أبو ذر يورد لنا حواراً دار بينه وبين النبي صلَّى الله عليه وسلم- تضمن وصايا نبوية له في الفتنة و موقفه منها:

"عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وسلم- : كيف أنت يا أبا ذر وموتاً يصيب الناس حتى يقوم البيت بالوصيف (يعني القبر)؟! . قلت : ما خار لي الله ورسوله (أو قال : الله ورسوله أعلم) قال : تصبر. قال : كيف أنت وجوعاً يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك ، ولا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟! قال : قلت : الله ورسوله أعلم (أو ما خار لي الله ورسوله) . قال : عليك بالعفة. ثم قال : كيف أنت وقتلاً يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم؟! قلت : ما خار لي الله ورسوله. قال : الحقُّ بمن أنت منه. قال : قلت : يا رسول الله أفلأ آخذ سيفي فأضرب معَّن فعل ذلك؟! قال : شاركتَ القومِ إِذَا ، ولكن ادخل بيتك ، قلت : يا رسول الله فإن دُخُل بيتي؟! قال : إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فلأقي طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمك وإنْمك فيكون من أصحاب النار"(١٨).

ومن الوصايا الخاصة هذه الوصية التي ثناها محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - من النبي صلَّى الله عليه وسلم- : "عن أبي بردة قال : دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم- قال : «إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فإذا كان كذلك فأتِ بسيفك أُحْدَأً فاضربه حتى ينقطع ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدُّ خاطئة ، أو منيَّة قاضية»(١٩).

ونجد إلى جانب هذه الوصايا الخاصة الموجهة إلى راوي الحديث وصايا عامة مضمونة في الأحاديث التي تنبئ عن الفتن وأخبارها، وتدل المسلم الذي يعاصرها على ما ينبغي أن يفعله ليتقى شرها. فها هو النبي صلَّى الله عليه وسلم- يوجه الخطاب إلى مَنْ هم جلوس بين يديه فيقول : «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغرب الناس فيه غربلة ، وتبقي حثالة من الناس قد مررت بهم وأماناتهم فاختلقو و كانوا هكذا (وشَبَّاك بين أصابعه)! قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟! قال : تأخذون بما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتعملون على خاصتكم ، وتذرون أمر عوامكم» (٢٠).

* يتبع *

الهوامش :

١ - مختصر صحيح مسلم للمنذري ، ص ٥٢٨،
٢ - المصدر نفسه.

٣ - انظر: المصدر السابق : قصة ابن صياد والدجال ، ص ٥٤٠، وما بعدها..

٤ - م.ن. ، ص ٥٢٩، - ٥٣٠.

٥ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ٣٠٤،/٢

٦ - مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٢٩،

٧ - م.ن. ، ص ٥٢٩. (صحيح مسلم بشرح النووي).

- ٨ - م.ن. ، ص ٥٣٠ ، ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون والياً ولاه عليهم عثمان فردوه ، وسألوا عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري فولاه.
- ٩ - قائل هذا راوي الحديث عن حذيفة ..
- ١٠ - اللؤلؤ والمرجان ، ٣٠٤/٣ ، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٥٣/٢
- ١١ - الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ، ج ٢٤ ، ص ٢٥-٢٦
- ١٢ - صحيح سنن ابن ماجه ، ٢٤/١ ، ٢٥-٢٥
- ١٣ - كتاب المحن ، لمحمد بن أحمد التميمي ، تحقيق يحيى الجبوري ، ص ٤٣ .
- ١٤ - صحيح سنن ابن ماجه ، ١/١ ، ٢٥
- ١٥ - صحيح سنن ابن ماجه ، ١/١ ، ٢٥
- ١٦ - مختصر صحيح مسلم ، ٤٣٤ .
- ١٧ - صحيح سنن ابن ماجه ٣٥٦/٢ .
- ١٨ - م.ن. ، ٢/٥٥ .
- ١٩ - م.ن. ، ٢/٥٧ .
- ٢٠ - م.ن. ، ٢/٥٤ .

صراع الأفكار

د. محمد محمد بدري

ليس كل ما يعلم يقال ، وليس كل ما يقال في كل وقت. ففي بعض الأوقات يكون الصمت هو الواجب ، فإذا استغل الأعداء هذا الصمت كان الكلام هو الواجب. وهذا المقال محاولة للتوفيق بين واجب الصمت وواجب الكلام في طبيعة الصراع بين الإسلام وأعدائه ، وبعد قراءة المقال يكفي القارئ أن يفتح عينيه على الواقع ليرى أمارات هذا الصراع، بل ربما يستخلص من الواقع المعروضة نتائج لم تلفت انتباها، أو أغفلناها خلال هذا المقال احتياطاً من التطويل ورغبة في التحديد. وكل ما نتمناه أن يقوم في الحركة الإسلامية من يتصدون لكشف سبيل أعدائها "سبيل المجرمين" حتى لا تبقى الحركة معرضة لهجماتهم دون عون أو نجدة.

إن من سنن الله الجارية التدافع أو الصراع بين الحق والباطل ، قال - تعالى - : ((ولَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)) [البقرة: ٢٥١] ، فالله - عز وجل - يدفع بأهل الحق أهل الباطل ، وهكذا يستمر الصراع بين الأنبياء وأتباعهم ، وأتباع الشيطان ، وبين الأنبياء والجماعات الضالة الذين يرفضون حكم الله وشرعيته ويتمسكون بحكم الجاهلية، ولن ينتهي هذا الصراع حتى تنتهي الدنيا.

ولاشك أن للأفكار قيمة كبيرة كأدلة من أدوات الصراع بين الحق والباطل ، وما سلوك الإنسان وتصرفاته

إلا نتيجة لأفكاره ، فإذا تغيرت أفكاره بجهده هو أو عن طريق جهد غيره فإن سلوكه يتغير ، وهذا التغيير قد يصل إلى النقيض ، فهناك فكرة قد تجعل إنساناً ينحني ويسجد لصنم من الحجر ، وفكرة أخرى تجعل إنساناً آخر يحمل الفأس ليكسر ذلك الصنم ويحطمه!

ولأن الأفكار بهذا القدر من الأهمية في الصراع بين الحق والباطل فإنه ومنذ تقرر في أوكرار الصهيونية تدمير الخلافة الإسلامية وأعداء الإسلام يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل السليم من ناحية، ومن ناحية أخرى يقومون برصد الأفكار الفعالة التي تحاول إيقاظ الأمة من سباتها، لكي يقضوا عليها في مدها أو يحتووها قبل أن تصل إلى جماهير الأمة فتصح وجهاً لها أو تعدل انحرافات أفرادها، ولتبقى الجماهير إذا اجتمعت تجتمع على أساس العاطفة وتحت سلطانها، وليس على أساس "الفكرة .. والمبدأ" .

وأعداؤنا يستخدمون في ذلك مراصد دقيقة تتلقى أي إشارة خطر عن فكرة أو كتاب ربما قبل أن تصل الفكرة إلى جماهير الأمة! فماذا يفعل الأعداء عندما تعطى لهم مراصدهم تلك الإشارة؟ كيف يتصرفون ليحولوا بينها وبين المجتمع الذي يحاول صاحبها نشر الفكرة فيه؟

إنهم في البداية يتعرفون على الفكرة بدراستها دراسة دقيقة، ثم يبداؤن فيما يمكن أن نسميه مرحلة "المواجهة" وفي هذه المرحلة يبذل الأعداء جهداً ضخماً ويستخدمون مواهبهم الشيطانية كلها حتى لا يكون لتلك الفكرة أي عائد أو نتيجة.. ووسائلهم في ذلك كثيرة، وهم يغيرون منها دائماً ويعدلون فيها تمشياً مع القاعدة التي تقول : "إن كل فخ عُرف مكانه يصبح دون جدوى" ، فوسائلهم تتتنوع حسب الظروف مع المحافظة على المبدأ الأساسي وهو "تحطيم الفكرة أو شلّها" !!

فهم تارة يصوبون ضرباتهم على اسم صاحب الفكرة وشخصه ؛ لكي يصيروا فكرته بحيث يصلون إلى أن يصبح اسم صاحب الفكرة كافياً في النفور منها بل ومن الكتاب الذي يضمها وعدم قراءته من الكثرين الذين يحكمون على فكرة معينة أو كتاب معين وفق انعكاسات حديث تجاه صاحبها وبمقتضى الكلام عن صاحب الفكرة والكتاب وليس من خلال جوهر الفكرة وما فيها من برهان. وهم تارة يستخدمون طريقة "الهتافات والشعارات" وهم في هذه الطريقة يرتكزون على ميل أفراد الحركة الإسلامية إلى السهولة فيصوغون الفكرة في مجموعة من الشعارات والهتافات فيتحول الأفراد عن "مشقة" البناء إلى "سهولة" الشعارات والهتافات!!

وفي أحيان أخرى يستخدم الأعداء طريقة "التشويش" عن طريق إضافة مجموعة من الأفكار الثانوية إلى الفكرة الأصلية بحيث تُضعف هذه الأفكار الثانوية سلطان الفكرة الأصلية على العقول ، ويكفي هنا أن ننظر في واقعنا لنرى كم مرة طُبقت هذه الطريقة معنا وكم مرة شاركنا فيها دون وعي؟!

وتارة أخرى يستخدم الأعداء أسلوب إثارة الشبهات.. فإذا خرجت الفكرة في صورة كتاب يقدم أيديولوجية واضحة للصراع مع الأعداء، ألقوا على هذا الكتاب ما يشهوه صورته أمام أفراد الحركة الإسلامية، وخلقوا حوله شبكات كثيرة بحيث لا يسهل إزالتها فينصرف أفراد الحركة عن مجرد الاطلاع على الكتاب لكثرة ما أثير حوله .. ولا نريد أن نضرب أمثلة ! فكم من كتب طيبة فرض أفراد الحركة الإسلامية حول أنفسهم ستاراً حديدياً يمنعهم من قراءتها لهذا السبب!

وفي أحيان أخرى يستخدم الأعداء طريقة "الاستبدال" فيطلقون هم أنفسهم فكرة جديدة تكون أقل ضرراً على مصالحهم من الفكرة الأصلية.

وهكذا يبقى الصراع مع الأفكار.. ونحن إذ اكتشفنا بعض التفاصيل عن طبيعة هذا الصراع فيقيقة التفاصيل الكثيرة للصراع تبقى في الظلام ، ويصعب وصفها كما يصعب وصف بيت العنكبوت ، وخاصة إذا كانت خيوطه تأتي من بعيد ولا يحيط بها بوضوح إلا من وفقه الله - عز وجل - وأضاء بصيرته.

ولكننا إذا أردنا الإجمال قلنا إن الأعداء يحاولون أن يجعلوا من الداعية للحق "خائناً" لأمتها ومجتمعه الذي يعيش فيه ، فإن لم يستطيعوا ذلك فإنهم يحاولون أن يحققوا خيانة المجتمع للداعية على يد بعض

المجرمين الذين يسيرون في ركب الأعداء على مرأى العيون في صورة رجال مرفوعين على منابر الزعامة وكراسي الحكم ، رجال وضعوا في أوطانهم مواضع "الأبطال" ليقوموا بدورهم المرسوم حين تفشل خطط الأعداء في تحطيم الأفكار الطيبة، فيقوم هؤلاء بأمر آخر وهو محاولة تحطيم أصحاب الأفكار عن طريق الإرهاب والتعذيب لهم ولأفراد أسرهم أطفالاً ونساءً !
هذا هو مكر الأعداء فما هو السبيل لدفعه والنصر عليهم ؟

بادئ ذي بدء نقول إن الأعداء يحاولون أن يصورو لنا الصراع معهم وكأننا ذرّة تريد أن تحطم جبلًا ! ، وأنه من العبث محاولة دفعهم فضلاً عن التغلب عليهم .
ولكن الأمر ليس بيد الأعداء، إنه بيد من يقدر الأشياء فتسير الذرة ويسير الجبل حسب تقديره ، وقوة الأعداء مهما بلغت وكيفهم مما قوي فهو ضعيف لأنه كيد شيطان ((إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)) النساء: ٧٦ [].

ودفعه منوط بما في أنفسنا نحن ، قال - تعالى - : ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)) [آل عمران: ١٢٠] ، وسنة الله في التغيير ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد: ١١] فسنة الله التي لا تختلف : غير نفسك تغير واقعك .. فلنغير في أنفسنا ما يستعمله أعداؤنا لخدمة أهدافهم من حيث نشعر أو لا نشعر ! .

فإذا كان الأعداء يستغلون فينا ميلنا للسهولة فيصوغوا الفكرة في مجموعة شعارات تسد منافذ إدراكنا وتضلّلنا عن حقيقة الصراع فلنتعلم أنه ليس المهم الصيحة التي يوجهها الضارب مادامت الضربة توجّه إلى العدو الحقيقي وفي الاتجاه الصحيح ، كما يجب أن نتخلص مما في نفوسنا من ميل للنظر إلى الأشياء على أنها "سهلة" والذي يقودنا في كثير من الأحيان إلى نشاط أعمى !

وإذا كان الأعداء يحاولون تحطيم الفكرة الطيبة عن طريق تشويه صاحبها أو إثارة الشبهات حولها، فلنتعلم أن حكم على الأفكار من خلال ما فيها من برهان بعيداً عن منطق الغوغاء !

وفي مقابل محاولة الأعداء "استبدال" بفكرة أقل ضرراً على مصالحهم بالفكرة الفعالة ؛ لابد من الوضوح في فكر الدعوة وأهدافها ليسهل على الأفراد التمييز بين الغث والثمين ، وفي مقابل إرهاب الأعداء لابد أن نؤمن بتحميمية المحنّة والابتلاء ولنعلم أننا لسنا أول الممتحنين ولن تكون آخرهم وإنما هم مواكب ((فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُوا تَبْدِيلًا)) [الأحزاب: ٢٣] .

ولنعلم أنه بقدر ما نربي أنفسنا بطريقة جيدة، بقدر ما نستطيع أن نصد لكيد الجahلية، ونجاحنا في الصمود لذلك الكيد هو نقطة التحول في خط سير الدعوة نحو هدفها المنشود .

وأخيراً فأفكار هذا المقال ولدية النظر إلى ما يجري في الواقع .. واقع الصراع مع الأعداء حاولنا فيه النصح لجميع إخواننا لنجاول جميعاً - نحن وهم - إزالة الجهالة بسبيل المجرمين والتي كانت في كثير من الأحيان سبباً في تخلفنا وهزيمتنا. وفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى .

شذرات وقطوف الأخوة .. والاختبار الحق

إعداد : نجوى محمد الدمياطي

يقول - سبحانه وتعالى - : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) [الحجرات: ١٠] ... والأخوة من أجمل المعاني التي يمكن أن يتحدث عنها الإنسان ! شفيفة لطيفة كالنور ! ندية محببة إلى القلوب... ولكن ما

الأخوة التي وردت الإشارة إليها في كتاب الله؟ يستطيع اثنان من البشر وهم يسيران في الطريق الواسع - في الأمان والسلامة - أن يتاخيا! أن يسيرا معاً وقد لف كل منهما ذراعه حول أخيه من الحب.. ولكن انظر إليهما وقد ضاق الطريق ، فلا يتسع إلا لواحد منهما يسير وراء الآخر.. فمن أقدم؟ أقدم نفسي أم أقدم أخي وأتبعه؟

ثم انظر إلى الطريق وقد ضاق أكثر.. فلم يعد يتسع إلا لواحد فقط دون الآخر! إنها فرصة واحدة.. إما لي وإما لأخي.. فمن أقدم؟ أقول : هذه فرصتي ولبيحث هو لنفسه عن فرصة؟ أم أقول لأخي : خذ هذه الفرصة أنت ، وأنا أبحث لنفسي؟! هذا هو "المحك".

إن الأخوة في الأمان والسلامة لا تكلف شيئاً! ولا تتعارض مع رغائب النفس .. بل هي ذاتها رغبة من تلك الرغائب يسعى الإنسان لتحقيقها مقابل الراحة النفسية التي يجدها في تحقيقها ... أما في الشدة - أو في الطمع - فهنا تختبر الأخوة الاختبار الحق ، الذي يتميز فيه الإيثار وحب الآخرين.. من الأثرة وحب الذات ، التي قد تخفي على صاحبها نفسه في السلام والأمن ، فيظن نفسه "أخًا" محققاً لكل مستلزمات الأخوة!

محمد قطب - واقعنا المعاصر

جهاد النفس

جهاد النفس أربع مراتب :

أحدها أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به متى فاتها علمه شقيقت في الدارين.

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإن مجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها...

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه ، وإن كان من الدين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيانات ، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين ، فإن السلف مجتمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلّمه ، فمن علم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملوك السماء.

ابن قيم الجوزية - زاد المعاد ٣٩/٢

ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه

عثمان جمعة ضميرية

إن جميع ما في الأرض من مختلف الديانات، إنما سميت بأسمائها: إما نسبة إلى اسم رجل خاص ، أو أمة خاصة، ظهرت الديانة وترعرعت بين ظهرانيها، أو باسم بلد نشأت فيه.

فاليهودية : سميت بهذا الاسم نسبة إلى أرض اليهودية، أو لأنها ظهرت بين ظهراني قبيلة تعرف "بيهودا" ويسمى أيضاً أتباعها "الموسوبيين" نسبة إلى موسى (عليه السلام).

والنصرانية : سميت بهذا الاسم نسبة إلى بلد الناصرة ، بلد المسيح (عليه السلام) ، وتسمى أيضاً المسيحية، نسبة إلى المسيح (عليه السلام) ، ويسمى أتباعها "المسيحيين" ، نسبة إلى المسيح أيضاً.

مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وهكذا اشتهرت البوذية - مثلاً - بهذا الاسم نسبة إلى "بوذا" ، باني هذه النّحلّة، وكذلك الزرادشتيّة أخذت اسمها من حامل لوائها، وهو: زرادشت... الخ .

أما الإسلام - الدعوة العالمية الإنسانية، الذي ختم الله (تعالى) به الرسالات السماوية السابقة كلها - فإنه لا ينتمي إلى أمة بعينها، ولا إلى بلد ظهر فيه ، بل ولا إلى النبي الذي أنزله الله عليه. وإنما يدل اسمه على صفة خاصة، يتضمنها معنى كلمة "الإسلام".

ومما يظهر من هذا الاسم : أنه ما عني بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من البشر ، وليس خاصاً بأمة بعينها ، دون سائر الأمم ، وإنما غايته أن يحل أهل الأرض جميعاً بصفة الإسلام .

وكما اختص الله - تعالى - هذا الدين باسم "الإسلام" اختص أيضاً هذه الأمة باسم "الأمة المسلمة" وباسم "المسلمين" ولعلنا نلمح من خلال هذا الاختصاص جملة معانٍ بارزة كانت وراء الاختصاص بهذا الاسم ، نشير هنا إلى أهمها :

ففي ذلك تكريم وتشريف لهذه الأمة على غيرها، حيث اختصها الله - تعالى - باسم أطلقه على أنبياء الأمم السابقة، فكانوا هم المسلمين ، وهذه الأمة هي الأمة المسلمة، وبذلك تتأكد وشائج الصلة بين هذه الأمة وبين من سبقوها، فهى ليست مقطوعة النسب ، وليس بدعاً بين الأمم ، وفي هذا تشريف لها أي تشريف ! .

وفي هذه التسمية والاختصاص بها استجابة لدعاء إبراهيم - عليه السلام - إذ قال : ((رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)) [البقرة: ١٢٨] ، فالذرية المسلمة والأمة المسلمة من نسل إبراهيم - عليه السلام - وهو الذي سماها أيضاً بهذا الاسم : ((هُوَ سَمَّا كُمُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) [الحج: ٧٨] .

واشتملت شريعة الإسلام على فوائل العبادات والتشريعات ، مما انفرد به بين جميع الرسالات ؛ من الجهاد ، والحج ، والوضوء ، والغسل من الجنابة ، ونحو ذلك مما اختصت به الأمة المسلمة ، ولم يكتب على غيرها من الأمم ، وإنما كُتب على الأنبياء فقط .

وفي هذه الأمة تحقق معنى الإسلام ، الذي هو الاستسلام والانقياد والإذعان لرب العالمين، ولم تذعن أمة لنبيها وتتابعه كما أذعنت هذه الأمة، وقبلت ما جاء به من عند الله ، وانقادت له بلا اعتراف ، فاستحقت بسبب تلك المعاني كلها : الاختصاص باسم الأمة المسلمة، واختصت بالخيرية بين الأمم، فقال الله سبحانه وتعالى:-:(كُنْتُ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ) (آل عمران: 111)

وإذن فقد أصبحت كلمة "الإسلام" مختصة - عرفاً وشرعاً - بمدلول معين هو: مجموعة الشرائع والأحكام التي أنزلها الله - تعالى - على محمد صلى الله عليه وسلم ، أو التي استنبطت مما جاء به هذه الرسالة التي أنزلها الله - تعالى - على محمد صلى الله عليه وسلم - بلغت ذروة الكمال ، وجاءت دعوة إنسانية عالمية خاتمة، رضي بها الله - تعالى - للناس ديناً ، فأعظم بها المنة، وأكمل بها الدين وأتم النعمة : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)) [المائدة: ٣].

وبعد أن كان كل رسول من الرسل يرفع راية التوحيد ويهاهف بقومه : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . أو : ((قالَ يَا قَوْمٍ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)) [نوح: ٢] ، جاء خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم - ، وجمع كلمة المرسلين ، فجمع الرأيات كلها تحت راية واحدة وجعل ينادي : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة: ٢١] . ((هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلَيُنذِرُوا بِهِ)) [إبراهيم: ٥٢] .

ولقد فصل الله - تعالى - في القرآن الكريم سمات هذه الدعوة العالمية العامة، وعرضها على أعين الناس في كثير من آياته ، فقال - تعالى - : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) [الأعراف: ١٥٨] ، ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْqَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)) [الفرقان: ١] .

وأشار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم- إلى عموم بعثته وعالمية دعوته فقال : «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأحلت لي المغامن ، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم- : «فُضِّلتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بُنْتُ : أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلْمَ ، وَنَصَرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَأَحْلَتُ لِي الْغَنَائِمَ ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مسجداً وظهوراً، وَأَرْسَلْتُ إِلَى الْخُلُقَ كَافَةً، وَخَتَمْتُ بِالنَّبِيُّونَ» متفق عليه .

ومن ثم كان محمد صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات جميعاً، قال الله - تعالى - : ((مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ)) [الأحزاب: ٤٠] .

ويصور النبي صلى الله عليه وسلم- ختم رسالته للرسالات السابقة، وكيف أنه أتم البناء الذي تعافت عليه رسل الله الكرام ، فيقول : «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيته، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضع هذه اللبنة ؟ فأننا لبنة، وأنا خاتم النبيين» متفق عليه .

وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم- قد أرسل من عند الله - تعالى - بدين قد بلغ ذروة الكمال الذي لا كمال بعده ، وتوجه الخطاب فيه للعالمين جميعاً ، وختم الله - تعالى - به الرسالات ، فإن النتيجة المنطقية الازمة لذلك كله : أن تقطع صلة الإنسانية عنسائر الرسالات والنبوات السابقة في الطاعة والاتباع ، مع الإيمان بأصولها المنزلة من عند الله - تعالى - لا بما آلت إليه بعد التحريف على يد الأتباع ، مما جعلها لا تتصل بأصل الوحي المنزل من عند الله (تعالى) .

فكل ما جاء به الأنبياء السابقون قد نسخ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم- ، وارتبطت عندئذ الإنسانية كلها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم- وتعلمه وأسوته الحسنة ؛ إذ إن المبدأ الصحيح يقتضي :

- ١ - أن لا تعود الإنسانية بحاجة إلى الناقص بعد أن جاءها الكامل .
- ٢ - أنه قد لعبت يد التحريف والإهمال بتعاليم وسيرة الأنبياء السابقين ، مما لم يعد من الممكن - لأجل هذا - أن تتبعهم الإنسانية فعلاً .

ومن هنا فإن الله - تعالى - عندما يأمر باتباع الرسول وطاعته يأتي بهذه الكلمة معرفة بالألف واللام ؛ لتكون خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم- : ((وَاطِّبُعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [آل عمران: ١٣٢] .

وبعد .. فهذه هي الرسالة وهذا هو الدين الذي لا يقبل الله - تعالى - من البشرية غيره ، ويجب على البشرية كلها أن تقيء إليه : ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ إِلَهٍ مِّنْهَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) [آل عمران: ٨٥]

من كنوز القرآن صرف الهم إلى العمل الحاضر (*)

ستر الجيد

إذا اهتم الإنسان بعمله الحاضر، وأقبل عليه بعزيزمة قوية، استطاع أن ينجز فيه شيئاً كثيراً ، أو ينجزه في فترة زمنية قصيرة، بينما تقارن بأخر أقبل على العمل بتردد، وفتور همة، وتطلعات مستقبلية تشغله عن العمل الحاضر، ودخول في جدل حول ماذا سيفعل في المستقبل؟ دون ما حاجة إلى ذلك.

فكمما أن عمل اليوم لا يؤجل إلى الغد، فكذلك عمل الغد لا يقدم على عمل اليوم ، وهذه القاعدة دعا إليها القرآن في آيات كثيرة، وهى تدل على حكمته - سبحانه وتعالى - كما أنها من أعظم ما يكون سبباً في رقي العالمين إلى الخير الدينى والدنيوى ، فإن العامل إذا اشتغل بعمله الذي هو وظيفة وقته ، قصر فكره وظاهره وباطنه عليه فينجح ويتم له الأمر بحسب حاله ، وإن تشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعد شغله بها ثم استبعد حصولها، ففتر عزيمته ، وتنحل همتة ، وصار نظره إلى الأعمال الأخرى كليلاً ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع الهمة عليه ، ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همتة وقل نشاطه ، وربما كان الثاني متوقفاً على الأول في حصوله أو تكميله فيفوت الأول والثاني ، بخلاف من جمع قلبه و قالبه على كل عمل في وقته ، فإنه إذا جاء العمل الثاني يأتيه مستعداً له بقوه ونشاط جديدين حصلها من نشاطه وقوته في الأول فيبتلاه بشوق وعزيزمة فيفرح وينجح ، وهكذا يكون أبداً متجدد القوى (١).

والأمثلة على القاعدة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فمن الآيات قوله - تعالى - : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِلَ لَهُمْ كُفُوا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَخْشِيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً)) [النساء: ٧٧].
وقوله - تعالى - : ((وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنَوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ)) [آل عمران: ٤٣]. وقوله - تعالى - : ((وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوْعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ خَشِيَةً)) [النساء: ٦٦]. ومنه قوله - تعالى - : ((وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ أَلِئِنْ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لِتَصَدَّقَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * أَتَاهُمْ مَنْ فَضْلِهِ بَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرَضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يُلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) [التوبة: ٧٥-٧٧].

ومما يؤخذ من لفقات بعض الفقهاء أنهم كانوا يكرهون فرض الصور العقلية للمسائل وإعطاءها حكماً، ليس عجزاً منهم ولكن إدراكاً إلى أن الإغراق في ذلك ليس من وظيفة الوقت الحاضر الذي يعيشونه ، وربما كان ذلك سبباً في فرض حكم مغاير للواقع ، لأن تقدير الواقع في العقل ليس كوقوعه.

وإذا انتقلنا إلى الواقع الإسلامي نجد الإخلال بهذه القاعدة في العمل الحاضر كثيراً واضحاً، فتجد من يتحدث لك عن أمور من مستقبل الدعوة وخططها لم يحن وقتها بعد، وربما أخذ ذلك من وقته الشيء الكثير، وذاك يتحدث عن قيام الدولة الإسلامية كيف تكون؟ وكيف التعامل معها في الواقع؟ وأحياناً تجد الحديث عن ذلك سابقاً لأوانه، بينما الأمور المطلوبة المهمة والتي تكون طريقة إلى الخطط المستقبلية مهملة لا يلتفت إليها.

وهذا الاعتدال في النظر إلى الأعمال الحاضرة لا يخل أبداً بالتخطيط المستقبلي للأمور الدنيوية والدينية، ولكن بشرط أن لا يأخذ الحديث عن ذلك التخطيط حجماً كبيراً فيعود على العمل الحاضر باثار ضارة به ، تزيله أو تضعفه ، وكما أن الآيات أرشدت إلى هذا اهتماماً بالعمل وحرصاً على تحصيل أكبر قدر منه ؛ فإن ذلك يعود على العامل بالارتياح النفسي والاطمئنان أيضاً مما يكون له أثر طيب على نفس المسلم وتقويتها .

الهوامش :

- * هذه القاعدة مما نبه عليه الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه "القواعد الحسان".
- ١ - القواعد الحسان لتفسیر القرآن ، عبد الرحمن السعدي ، ص ١٣٦ .

الأوزاعي.. إمام أهل الشام

محمد محمد توفيق

هو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، والأوزاعي قيل : إنها نسبة إلى قرية في ضواحي دمشق ، ويظن أنه غير عربي الأصل . ولد في مدينة بعلبك (البنان) عام ٧٠٧ هـ / ٨٨ م ، وولد يتينا ؛ فقاسى من شظف العيش وشدة الحياة وخصوصاً في صغره .

صفاته :

نقى وورع ، حلم وأنة، رزانة وقلة كلام ، وعدم قهقهة، كان عفيف النفس ، سخياً، صلباً في الحق ، جريئاً في الدفاع عنه ، وكان محدثاً ثقة مأموناً، شهد له الجميع بالفضل والعلم.

رحلاته :

رحل في طلب العلم إلى كل من البصرة، والكوفة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ودمشق، وببيروت التي اتخذها موطنًا له ورباطاً إلى آخر أيامه .
ويروى أنه أثناء مروره بمقدمة بيروت ، التقى فيها بامرأة سوداء سوداء فسألها: أين العمارة يا هناته (أختاه)؟ فأجابت : إن أردت العمارة فهي هذه. وأشارت إلى القبور. وإن كنت تريد الخراب فأمامك ، وأشارت إلى البلد، فأعجبه كلامها، وعزم على الإقامة في بيروت.

شيوخه :

في الفقه : مكحول الشامي.

وفي الحديث : قتادة، ويحيى بن أبي كثير، وعامر الشعبي، وعطاء بن أبي رباح ، وابن شهاب الزهري ، ونافع المدني، ومحمد بن عبد الملك بن مروان الأموي ، وغيرهم.

أقرانه :

الذين اتصل بهم وتفاعل معهم ، منهم : مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك.

تلמידيه :

ابنه محمد، وزوج ابنته عبد الغفار بن عثمان ، وعبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، وأرسلان بن مالك اللخمي ، ومحمد بن حرب الخولاني، وعمرو بن أبي سلمة التنيسي ، ومحمد بن زياد (هقل)، والوليد بن مزيد العذري البيرولي، والخيزران زوجة المهدى وأم الهادى وهارون الرشيد، والوليد بن

مسلم ، ويحيى بن حمزة الحضرمي ، ويحيى بن سعيد القطان . كما روى عنه البخاري ومسلم وأصحاب السنن .

كتب :

ضاعت كلها إلا كتاب سير الأوزاعي ، ويقال إن له كتاب السنن ، وكتاب المسائل .

مذهب :

كان له مذهب مستقل انتشر في الشام لأكثر من قرنين من الزمان ، وفي الأندرس قرابة نصف قرن ، ثم انذر ، ويمكن اعتباره من مدرسة أهل الحديث ، وكان لهذا المذهب أتباع من العلماء أشهرهم : عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بذحيم ، وعبد الله بن إسماعيل ، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام البيرولي ، وصعصعة بن سلام بن عبد الله الدمشقي .

وكان مفهوم الدين لديه هو: لزوم الجمعة ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد بالصلوة ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله .

وكان يقول : إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً ، وإن المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً .

يروى أن نصرانياً أهدي إليه جرة عسل وقال له : يا أبا عمرو ، تكتب لي إلى والي بعلبك ، يعني ليسفع له عنده . قال الأوزاعي : إن شئت ردت الجرة وكتبت لك ، وإنما قبلت الجرة ولم أكتب لك ، قال : فرد الجرة ، وكتب له ، فوضع عنه (أي عن النصراني) ثلثين ديناً . وهذا دليل على ورعه وعفته ، وتسامحه ولينه .

ومات في سنة ١٥٧ هـ / ١٧٧٤ مـ ، وعمره ٦٩ عاماً رحمه الله .

البيان الأدبي

الخروج من تحت الأنقاض

د. عمر عبد الله

سنوات الغربة التي يمر بها "جمال" خلال غربته الثانية بدت أقل صعوبة وأيسر معاشاً مما توقع ، فهو بالرغم من عيشه في هذه البلاد ثلاثة سنوات من سنوات الطفولة إلا أنه تهيب من العيش في بيئه مختلفة ، وحضارة مغایرة . لكن الأمر كان أسهل وأيسر ، ففي المدينة التي يدرس فيها جالية إسلامية نشطة ، ونشاط دعوي مميز ، أخذ من وقته ، وعاش في شعوره حتى أصبح المجتمع الصغير عالمه ومحيطه ، وأصبح إخوة العقيدة الذين لم يربطهم به سوى رابطة الإيمان أشقاء له لم تلدهم أممه ، إن جعفر ، وعبد الرحمن ، وليث ، وزاد الحق ، ومراد ... وغيرهم من إخوة الدرج قد أضاءوا سنوات الغربة بذكريات عزيزة ، وأناروا الطريق الموحش بومضات جد ساطعة ، كان اليوم هو آخر أيام الأسبوع الأول من الدراسة ، وحينما كان جمال يهم بمغادرة الجامعة ، وجد رسالة على صندوق بريده ، كتب عليها "ج. برهان يود مقابلتك في مكتبه في قسم المحاسبة ، غرفة رقم ١٢١ ، في أي وقت بعد الظهر" حاول أن يتذكر إذا ما كان الاسم المذكور يعني له شيئاً خاصاً ، لكن ذاكرته لم تسعفه ، وحين كان في الوقت متسع فقد قرر أن يزور صاحب الرسالة في هذا الوقت ، وحينما وصل إلى الغرفة المذكورة ، طالعه السكرتير متسائلاً هل من خدمة أقدمها لك ؟ .
- أجاب جمال: أسمي جمال العلي، وجدت رسالة تطلب مقابلة السيد برهان بعد الظهيرة.

كانت لهجته الأمريكية التي اكتسبها خلال تواجده المبكر في هذه البلاد يجعل العديد من الأمريكان يظنون أنه أمريكي من أصل مكسيكي.

- نعم .. إن الدكتور برهان قد طلب مني أن أبلغه بحضورك .. بالرغم من مشاغله الكثيرة، يبدو أنك صديق مخلص له.

- لا أدرى ، فهذه المرة الأولى التي أقابلها.

- على العموم ، هو شخص لطيف، وهو منذ انتقاله لهذه الجامعة منذ أسابيع وهو يكسب العديد من الأصدقاء والمعجبين ، إنه إنسان رائع .. لحظة من فضلك . دخل السكريتير الغرفة بينما بقي جمال يحاور نفسه ويحاول أن يتذكر مرة أخرى لعله يفلح في الاستذكار.. بدون جدوى.

- السيد برهان في انتظارك.

- شكرًا.

دخل جمال الغرفة وما إن وقع نظره على السيد جمال حتى أدرك أنه يقابل وجهًا أليفًا، لكنه لم يستطع أن يتذكر ما تعنيه تلك الملامح بالنسبة له ، واستفتحه بلغة عربية صافية.

- أهلاً بالسيد العلي.. أنا جميل برهان ، أعمل حالياً رئيساً لقسم المحاسبة في الجامعة، ربما أنك لا تعرفني، كان منظره يوحى برأي إنسان أمريكي تماماً ، لا يدل على كونه عربياً سوى اسمه ، ولغته العربية المحكية بلهجة فلسطينية.

- حقيقة إن وجهك مألوف بالنسبة لي، لكنني لا أستطيع أن أتذكر أين رأيتكم، ومن تكون!

- حتى بالنسبة لي فأنا أجد صعوبة بالغة في التعرف عليك ، بالرغم من معرفتي القديمة بك؟

- بي .. أين .. ومتى؟!

ضحك جميل برهان حتى بدت أنبياه.

- منذ زمن طويل ، وطويل جداً، لكن دعني أعطيك إشارة مساعدة، لقد عشت وقتاً طويلاً في أن "آربير" ، وبالتحديد قبل خمسة عشر عاماً... فهل تساعدك هذه الإشارة؟

- ربما، فقد عشنا في نفس المكان وأنا طفل ، في نفس الفترة تقريباً.

- حسناً، أنت في الطريق الصحيح ، وربما أنك لا تذكر صديقاً لوالدك كان يدرس معه في نفس القسم ، يحمل نفس الاسم؟

- لا أذكر.

- كنت أتوقع ذلك ، يسرني أن أقول لك إن أباك إبراهيم العلي كان من أعز أصدقائي ، في تلك الفترة على الأقل ، لقد كان رجلاً وودوداً وكريماً معندي ، بالرغم من عدم اتصالنا ببعض لفترة طويلة.. طويلة جداً.

- لكنني لا أزال أذكرك ، وأنت طفل صغير ، حينما كان أبوك يدعوني في أيام ذلك الصيف في حديقة منزلكم لتناول الحديث ، وتناسي الهموم.

- لا أذكر ، فقد كان لأبي الكثير من الأصدقاء ، وكنت في تلك الفترة أعيش فترة الطفولة باستغراب جميل.

- لقد دهشت حينما رأيتكم فالرغم من معالم الشبه بينك وبين أبيك : فإنك تبدو مختلفاً في المظهر على الأقل.

- ربما ...

أدرك جمال ما يعنيه الدكتور برهان ، فلحيته المعافة كانت علامة مميزة في محيط الجامعة.

- وماذا تدرس الآن في هذه الجامعة؟

- أحضر الماجستير في الهندسة النووية.
- جميل.. رائع.. وهل أنت متألم في هذه الجامعة والمدينة؟
- نعم.. فالأمور تجري بشكل جيد.
- جميل.. إننيأشعر بلذة في اجترار الماضي ، أليس ممتعًا أن تستعرض تلك الأيام الحلوة مع شخص عاش ذات الظروف.
- نعم ، خصوصاً إذا كان يحمل نفس الهموم والآلام.
- التقط ، دبرهان الحديث ، ورد بلهجة استرجاعية مسترخية.
- نعم ، كم كان جميلاً لو أن إبراهيم كان معنا ، لقد كان - كما قلت ووصفت - صديقاً رائعًا تقاسمنا الهموم والآلام سوياً ، كانت المرحلة التي نحياتها مرحلة شباب وزخم ، وقد التقينا في صيف عام ١٩٦٦م ، كنت وأبوك نعيش حالة من الفرح الكاذب والأمل الواهن ، كانت أمريكا تغرق تدريجياً في وحل فيتنام ، فنرى في ذلك هزيمة لروح التسلط التي كانت تمارسها هذه البلاد بوقاحة في تلك الأيام ، وننام ونصحو على شعارات قرب زوال الظلم ، وإلقاء "إسرائيل" في البحر ، ولا تسأل اللاجي الذي كان يضع رهانه على تلك الدول ولا الشباب المتأثر بالناصرية كإبراهيم ، والذي رأى فيها حلم شبابه.
- صدقـتـ كان أبي ناصرياً مثاليـاً، ألا يـكفيـكـ أنـ اسمـيـ خـيرـ دـليلـ عـلـىـ ذـلـكـ .
- نـعـمـ.. لـازـلـتـ أـتـذـكـرـ حـالـةـ الإـحـباطـ وـالـتـعـاسـةـ التـىـ أـحـاطـتـنـاـ فـيـ صـيفـ عـامـ ١٩٦٧ـ مـ ، حـتـىـ أـنـنـاـ كـنـاـ نـتـحـاشـىـ أـنـ نـذـهـبـ لـلـجـامـعـةـ حـيـثـ كـانـ الصـهـائـيـةـ وـأـصـدـقـاؤـهـمـ الـكـثـيـرـونـ يـشـعـرـونـنـاـ بـأـنـنـاـ نـعـيشـ هـزـيـمةـ أـخـرـىـ، لـقـدـ كـانـ أـيـامـ قـاسـيـةـ!ـ لـكـنـ خـبـرـنـيـ ماـ هـيـ أـخـبـارـ وـالـدـكـ؟ـ
- إـنـهـ بـخـيرـ، وـهـوـ عـلـىـ وـشـكـ التـقـادـعـ، لـلـتـفـرـغـ لـأـعـمـالـهـ.
- وـهـلـ لـاـيـزـالـ مـثـالـيـاـ؟ـ أـعـنـيـ نـاصـرـيـاـ مـخـلـصـاـ؟ـ
- كـلـاـ وـلـكـ سـأـسـأـلـكـ نـفـسـ السـؤـالـ؟ـ
- لـقـدـ أـصـبـحـتـ أـمـرـيـكـاـ ..ـ (ـيـضـحـكـ)ـ ،ـ أـمـرـيـكـاـ مـخـلـصـاـ،ـ خـلـعـتـ أـشـيـاءـ كـثـيـرـةـ لـكـيـ أـصـلـ إـلـىـ مـاـ أـنـاـ فـيـهـ ،ـ تـرـكـتـ الـمـثـالـيـاتـ ،ـ يـمـمـتـ شـطـرـ الـجـانـبـ الـأـكـادـيـمـيـ ،ـ وـهـاـ أـنـاـ ذـاـ أـحـقـ مـعـظـمـ أـحـلـامـيـ ..ـ
- وـهـلـ لـدـيـكـ أـسـرـةـ؟ـ
- نـعـمـ لـدـيـ أـبـنـةـ تـعـمـلـ مـتـفـرـغـةـ فـيـ الـعـلـمـ الـخـيـرـيـ ،ـ إـنـهـ رـئـيـسـ نـادـيـ الـلـيـونـزـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ!
- الـلـيـونـزـ..ـ؟ـ هـلـ تـعـرـفـ مـاـ هـيـ الـمـنـظـمـةـ ،ـ وـمـاـ أـهـدـافـهـ؟ـ
- كـلـاـ ..ـ ،ـ فـابـنـتـيـ تـعـرـفـ ذـلـكـ ،ـ وـهـىـ عـمـومـاـ "ـتـرـبـيـةـ أـمـرـيـكـاـنـ"ـ ..ـ (ـوـيـضـحـكـ ضـحـكةـ مـقـضـبـةـ)ـ ،ـ لـقـدـ تـزـوـجـتـ أـمـهـاـ الـأـمـرـيـكـيـةـ،ـ وـاـتـفـقـنـاـ أـنـ أـتـفـرـغـ لـلـعـلـمـ وـتـتـفـرـغـ هـىـ لـإـدـارـةـ الـأـسـرـةـ.
- وـهـلـ لـازـلـتـ تـحـفـظـ بـهـوـيـتـكـ؟ـ أـعـنـيـ لـغـتـكـ ،ـ وـدـينـكـ.
- لـغـتـيـ جـيـدةـ،ـ وـدـينـيـ لـاـ يـسـرـ ،ـ مـنـذـ الـبـداـيـةـ.
- وـلـمـاـ؟ـ!
- كـنـتـ يـسـارـيـاـ فـيـ السـابـقـ ،ـ قـبـلـ أـنـ أـهـاـجـرـ إـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ،ـ كـنـتـ أـعـيـشـ فـيـ مـخـيمـ لـاجـئـينـ فـيـ دـمـشـقـ ،ـ كـانـ مـعـسـكـرـ السـلـامـ وـشـعـارـاتـهـ الشـيـوعـيـةـ يـشـكـلـ تـيـارـ أـغـلـبـ الـتـعـسـاءـ هـنـاكـ.
- ثـمـ؟ـ
- كـفـرـتـ بـكـلـ الـشـعـارـاتـ الـكـاذـبـةـ،ـ وـالـزـعـامـاتـ الـمـغـشـوشـةـ،ـ وـأـمـنـتـ بـالـحـيـاةـ عـلـىـ الـطـرـيـقـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ،ـ الـفـرـديـةـ،ـ تـسـتـطـيـعـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـ تـرـيـدـ حـيـنـماـ تـكـوـنـ لـاـ مـنـتـمـيـاـ،ـ إـنـهـ عـقـلـيـةـ الـشـرـكـاتـ الـكـبـرـىـ،ـ حـيـنـماـ تـدـوـسـ عـلـىـ الـمـبـادـىـ،ـ سـوـىـ مـبـادـىـ الـشـرـكـةـ وـتـتـخـلـىـ عـنـ أـيـ تـحـالـفـ،ـ سـوـىـ مـاـ يـسـاعـدـكـ عـلـىـ النـجـاحـ!

- وهل هذا مبدأ صالح في نظرك ؟
- ما يصلح هو ما يعمل ، وما يعمل - كما أرى - هو ما يصلح.
- قد يبدو هذا الكلام فلسفياً، لكن الواقع والفلسفة قد يشتبkan. لكن قل لي : هل أنت مثالى ؟
- إذا كنت تقصد بالمثالية الالتزام بمنهج ، فأنا كذلك.
- وما هو هذا المنهج ؟ . لقد أصبحت بعيداً عن الساحة العربية كما ترى.
- منهج قديم ، جديد..
- ماذا تعني..؟
- أعني الإسلام.
- لقد كنت أظن أنك ستقول لي ذلك ، منذ أن رأيت تلك اللحية التائرة، إنها تشبه لحية كاسترو، أو الخميني .
- لعل كاسترو وغيفارا والخميني بل حتى ماركس ، هم ما تقدمه الثقافة الأمريكية للتدليل على الخطر الخارجي، والربط بينهم حتى لو لم يكن هناك رابط.
- أوقفك في ذلك ، لكن قل لي فعل معلوماتي خاطئة : هل يعني ذلك أن "الأصولية" هي الموجة الآن؟
- وماذا تعني بالأصولية؟
- أعني الحرفية، الجامدة، والتعلق بالنص!
- أعطني مثالاً .. لم أفهم!
- مثلاً بلي غراهام ، سويفارت.
- غيرهما.
- لا أتذكر.
- أنت رجل متعلم ، هل تؤمن أن نطبق سياسات أمريكا وأوربا الغربية وآلياتها على العالم الثالث ؟
- لا يمكن ، أرضيتان مختلفتان ، متباليتان...
- إذن هل تعرف أن هناك اختلافاً بين ما تطلقه من أمثلة وبين الواقع الذي تتعنته بالأصولية.
- ربما، لكن الإسلام والمسيحية متقاربان ، عذراً، هذا من بقایا الخمسينيات ، كلاهما أفيون الشعوب ، أو في منطق أمريكا الثمانينات ، الإسلام السياسي أو الإرهابي يحمل نفس بذور الأصولية التي تريد أن تحكم أمريكا.
- مرة أخرى .. أجد نفسي مضطراً لتنذيرك باختلاف البدايات واحتمالية الخطأ النهائي.
- أعترف بأنني قد تغيرت كثيراً.. وأعترف أن الحوار ممتنع معك ، تحمل نفس اللهجة القاطعة والمستيقنة التي كان أبوك يحملها، ولكن تبدو أكثر عقلانية حينما كان يبدو أكثر حماساً وعاطفية، هل نلتقي مرة أخرى ؟ .
- أحس جمال أن الدكتور برهان مشغول وأن المقابلة قد انتهت ، فوعده خيراً ، وأحس بواجب نحو هذا الغريب ، الذي "استنونق" حتى يصل إلى ما يريد، والذي قابل العديد من أمثاله الذين تأمركاوا، وضاعوا وأضاعوا، أضاعوا جيلاً ثانياً كان يمكن أن يكون أداة خير فاعلة في هذه الأرض ، وتذكّر مجموعة من المراهقين من أبناء المسلمين الذين ولدوا لأباء كهؤلاء ، بعضهم يحترف الدعاية، وبعضهم يحترف تجارة المخدرات ، ومجموعة تقود نوادي الليونز ، والروتاري ، وأخرى - ويا

لحجم المأساة !! - يعلمون منصرين في كنائس مثل "وليم علي" ، ذلك المنصر الشاب الذي قابله منذ فترة وتلك مأساة أخرى...

أذان بلا

شعر : مروان کجا

إِنِي لَيُثْنِي الْمَقَالَ عَنِ الْمَقَالِ فَهُنَا رِجَالٌ يَسْتَبِدُ بِهِمْ رِجَالٌ
وَهُنَّاكَ طَاغِيَّةٌ بِلَا قَلْبٍ ، وَلَا عُقْلٍ ، أَلَّدُ ، يَفْوَقُ مَا نَسَجَ الْخَيَالُ
وَعَلَى رُبُّا أَرْضِ الْمُحْبَةِ تُهْنِكَ الْأَسْتَارُ يُعْبِثُ بِالظَّهَارَةِ وَالْجَمَانِ
يَقْتَادُهَا جَلَادَهَا بِالْقَهْرِ طَوْ وَرَأْ وَالْأَمَانِي كاذِبَاتِ ، وَالْوَصَالِ
فَإِذَا تَأَبَّتْ أَوْ عَدَتْ يَوْمًا ، وَلَمْ تَحْفَظْ لَهُ وَدًا ، وَلَجَتْ فِي السُّؤَالِ
وَإِذَا تَمْلَمَلَ طَرْفَهَا مِنْ رِقْدَةِ الدَّلَالِ
وَإِذَا تَعْلَى صَوْتَهَا عَنْ هَمْسَةِ
الْفَيْتِ كُلَّ نَقِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ تَلَى
هَذَا الَّذِي صَلَبَ الْمَسِيحَ بِزَعْمِهِمْ
هَذَا الَّذِي قُتِلَ الْحَسِينَ جَهَارَةً عَمْدًا ، وَلَمْ يَحْفَظْ لِعَصْمَتِهِ الْجَلَالُ
هَذَا الَّذِي بَاعَ الْبَلَادَ وَأَهْلَهَا وَرَمَى بَنِيهَا بِالْتَّفَاهَةِ وَالْضَّلَالِ
هَذَا الَّذِي لَوْلَاهُ مَا كَانَتْ أَزْقَنَ تَكُمْ مَبَاءَتِ لَأُوكَارِ الْخَبَالِ
هَذَا الَّذِي قَدْ سَلَمَ الْقَدْسَ الْحَبِيْبَ بَةَ فِي صَبَاحِ حِينِ قَعْدَتِ النَّعَالِ
فَمَضَى بَعِيدًا ، طَوَّفَ الدُّنْيَا اِنْكَسَا رَأِيَا وَاخْتَفَى خَلْفَ الرَّوَابِيِّ وَالنَّلَالِ
وَأَطْلَلَ فِي لَيْلِ بَهِيمِ زَائِغٍ لَتَظَنَّ أَنَّكَ فِي الْمَعَارِكِ مَا مَتَّرَالْ
هَذَا الَّذِي إِنْ حَلَّ فِيْكُمْ حَاكِمًا سِيَكُونُ إِعْصَارًا وَيُسَرِّفُ فِي النَّكَالِ
فَامْضُوا لَوَادِ الْعَابِثِينَ بِلَهْوِكُمْ : إِلَيْسِ يَحْدُو جَمِيعَكُمْ ، وَأَبُو رَغَالْ
لَا تَرْهَبُوا أَهْدًا وَكُونُوا سَادَةً وَتَقْدِمُوا لِنَزَالِهِمْ أَلَا فَإِنْ
فَبْنُو الْنِّبَاةِ قَدْ نَثَرُنَا عَقْدَهُمْ وَغَدَوْ شَرَادَمَ دَأْبَهَا قَيْلُ وَقَالُ
مَاذَا أَقُولُ وَحْوَلِي الْأَمَالَ صَرْ عَى وَالْبَشَائِرِ فِي انْكِماشِ وَانْسَلَالِ
وَالْقَدْسِ تَرْسُفُ فِي الْقِيُودِ وَحَولَهَا شَلَاءُ أَهْلِي غُيَّبَتْ تَحْتَ الرَّمَالِ
وَالْعَابِثُونَ بِمَجْدِنَا فِي كُلِّ أَرْضِ يَرْهَبُونَ أَذَانَ فَجْرِكَ يَا بَلَانْ
يَخْشُونَ أَنْ تَرْقَى حَصُونَ جَهَنَّمَ فِيْكُمْ صَوْتُكَ مَا أَقَامُوا مِنْ جِبَالْ
مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ دَارٍ حَوْلَهَا سَوْرٌ ، وَحَوْلَ السَّوْرِ كُوكَبةُ اغْتِيَالِ
مَسْتَوْطِنُونَ هُنَّا سَكَارِيَ لَا يَرْفُونَ سُوَى التَّمَادِيِّ فِي التَّعْدِيِّ وَالْضَّلَالِ
وَهُنَّاكَ شَرْذَمَةٌ يَبْوَءُ بِإِثْمِهِمَا صِفْرُ الرَّجُولَةِ وَالْدُّعَيْ بِلَا نِزَالِ
أَشْفَى عَلَيْنَا وَاسْتَطَابَ نَسِيمَنَا فَرَغَا وَأَزْبَدَ كَيْ نَعَافَ لَهُ الزَّلَالِ
وَمَضَى يَسُومُ صَغَارِنَا وَكَبَارِنَا خَسْفًا وَجُورًا وَالْبَقِيَّةُ لَا تَقَالُ
مَنْ لَيْ بِثَائِرَةِ تَثُورَ كَأَنَّهَا شَهْبٌ إِذَا انْقَضَتْ ، بِرَاكِينَ اشْتَعَالِ
تَفْرِي الْجَنَّةَ تَغْوَصُ فِي أَرْحَامِهِمْ تَجْتَثُ مَا زَرَعُوا بِأَرْضِهِمْ مِنْ وَبَالِ

لا ترضي إلا اقتطاف رؤوسهم
ما بين ناصية كذوبٍ أو قذالٍ
بالحق أرْهَبْ مَنْ توارى خلفهِمْ ودع السيف على المدى رهن استلالٍ
لا تأمنْ يوماً لباذل قولهِ حتى ترى لمقاله صدق الفعالٍ
واحدر أذى قوم تظل رؤوسهم في الطين غائصة ترقبُ في انشغالٍ
لا يعرفون سوى الخديعة مذهبًا كالصل سماً، حاذقون ذو احتيالٍ
أنسالٌ حقد كالأفاعي كلما عاهتهم قطعوا الوشائج والحبالٍ
فيهم وحوش كالخراف وداعلةٌ
خبثًا وميناً، مثل حارية هزالٍ (١)
أمر أجل ، وخطة فوق الخيالٍ
وأنا هنا وحدي تُطيف بي الرؤى
والسابحون على شواطئ أنفسهم
أنسَّـهُمُ الأيام دجلةً والقناءَ
والزاعمون النصر في غدواتهم نسوا الجنوبَ غداة ضمهم الشمامَ
ولذاك أنتَ في الdroob كنانتي هيمان، يثنيني المقال عن المقال!

الهوامش:

١- الحرارية : الأفعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها .

شُؤون العالم الإسلامي المسلمون في شبه القارة الهندية تعاون هندي إسرائيلي لقمع انتفاضة كشمير

أحمد موفق زيدان

"إن العملية مكلفة، والخسائر باهظة، ولكن لابد من دفع الضريبة والثمن ، فدفع ضريبة العز والحرية لا تقارن بدفع ضريبة الذل والمهانة" هذا ما قاله أحد الناجين من الجحيم الهندي في سريناغار عاصمة كشمير المحتلة، ويروي القادمون من هناك صوراً لamas لا وجود لها إلا في الدول المتوجهة، ولا تمااثلها إلا جرائم النازية ومحاكم التقتيش . ويقوم بالإشراف على هذه المأساة والخطط مستشارون إسرائيليون إلى جانب المستشارين الهنود. وقد أكدت مصادر متعددة وجود مثل هؤلاء المستشارين خاصة وأن التعاون الأمني بين الطرفين على أشدّه في المجالات الأمنية، وتقتفي القوات الهندية أثر القوة اليهودية في تعاملها مع الانتفاضة الفلسطينية من إبعاد وطرد وتعذيب وإهانة وغيرها.

صور من المأساة :

تشير التقارير الصحفية إلى أن حصيلة الانتفاضة الكشميرية - والتي بدأت مع ربيع عام ١٩٨٩ حتى الآن - وصلت إلى آلاف الشهداء، و٢٣ ألف سجين و ٢٠ ألف جريح و تقوم القوات الهندية بمداهمة البيوت والمنازل بحثاً عن المجاهدين والأسلحة، ولكن أول ما يسألون عنه أو يبحثون عنه نسخ من القرآن الكريم فإن وجدوه يطرحونه أرضاً ويأمرون أهل البيت أن يدوسوه ويهينوه ، ومن يرفض أوامرهم يواجه برشقة من بندقية أو مسدس فيخر صريعاً شهيداً، وقد حصلت حوادث لا حصر لها من هذا النوع.

كما تقوم القوات المداهمة بربط وتكتيف أهل المنزل الرجال في جهة ، ، النساء والفتيات في جهة أخرى ، ثم يقتلون المنزل ، وبعد فراغهم يقومون بالاعتداء على أعراض الفتيات أمام سمع وبصر ذويهم ، والجيران يسمعون صيحات الاستغاثة والصرخ والعويل ، وتوالي قوات الكوماندوز الهندية مهاجمة الشباب ، والأشبال في الشوارع حيث يهجم اثنان من هذه القوات على شاب يسير في الشارع لا ذنب له ويمسه كل واحد من الكوماندوز من يده ثم يقومان بكسر ذراعيه ويمضيان دون أن يعارضها أحد ، وفي المظاهر النسائية التي أقيمت مؤخرًا في داخل سريناغار قامت قوات الكوماندوز الهندية بخطف والاعتداء على ٣٥٠٠ فتاة مسلمة دون أن يعرف مصيرهن حتى الآن . كما تقوم الهند بإرسال أشخاص هنود إلى سريناغار ويذَّعون أنهم مسلمون وقد اكتشف أحدهم في أحد مساجد العاصمة عندما لاحظ عليه أحد المسلمين تحركات غريبة فنظر إلى ذراعه المكسوف فوجده مكتوباً عليه جملة هندوسية .

وفي ٢١ من مايو عام ١٩٩٠ - وبينما كان جموع من المُشيعين يقومون بمراسيم دفن (ميروريس محمد فاروق) الذي قتله القوات الهندية ويُفاجأ المُشييعون بهجوم ناري من القوات الهندية فقتلته أو جرحت حوالي ٢٥٠ شاباً إلا أن المصادر الهندية قللت من الرقم وقدرته بين ٢٧-١٧ قتيلاً أو جريحاً وادعت بأن الهجوم كان دفاعاً عن النفس في الوقت الذي كان المُشييعون عزلاً تماماً من السلاح . وتقول المصادر بأن القتل الكشمیريين في الفترة الواقعة بين ٢٠٠٦ من أبريل الماضي - بقوا بدون دفن ، كما أهمل المرضى ولم يعالجو في المستشفيات أبداً، وبقي كثير من سكان العاصمة بدون طعام أو غذاء حيث استمر حظر التجول مفروضاً خمسة عشر يوماً ولم يتوقف لحقيقة واحدة ، وأي شخص ينتهي هذا القانون يواجهه بعدة زخات نارية ؛ الأمر الذي نجم عنه مجاعة في العاصمة وتجر الإشارة إلى أن عدد سكان (سريناغار) يقدر بـ ٨٠٠ ألف نسمة منهم ٩٩٪ مسلمون وهناك خطة هندية يتوقع تتنفيذها تقضي بالسماح للقوات الهندية بإطلاق النار على كل شخص يتراوح عمره بين ٣٠-١٦ سنة، ويبلغ عدد سكان كشمیر ١٢ مليون نسمة منهم ٨٥٪ مسلمين .

فرار علماء الهند الكشمیريين :

أكدت الأنباء هروب حوالي ٥٠٠ قائد كشمیري الأصل عمالء للقوات الهندية من كشمیر وتوجهوا إلى دلهي واستقروا هناك ، وقاموا بشراء بيوت فخمة في الهند واستقروا هناك ، ويعتقد هؤلاء القادة بأنه لا مستقبل لهم بعد بدء هذه الانفراطية الشعبية العارمة التي تنقم على كل ما هو هندي أو عميل للهند ، ومن هؤلاء الفارين عبد الله صهر فاروق عبد الله حاكم كشمیر المحتلة سابقاً بإيعاز من الهند ، وكان فاروق عبد الله قرر العيش في لندن مع زوجته الإنجليزية الأصل ، ويقول بأنه مختلف في لندن ولا يستطيع الظهور بشكل علني خوفاً من المجاهدين الكشمیريين ؛ لأنهم ناقمون عليه لعمالته الشديدة للهند أيام حكمه .

الهند تحظر دخول الهيئات الدولية :

رفضت الهند دخول الهيئات الدولية ولجان حقوق الإنسان إلى كشمیر وعلى الرغم من تقديم لجنة العفو الدولية ، وجمعية الصليب الأحمر الدولي ولجان حقوق الإنسان بطلبات لدخول كشمیر المحتلة ومشاهدة الأوضاع التي يحياها السكان هناك فقد رفضت السلطات الهندية الاستجابة لأي طلب من هذا ، وقد هاجمت إحدى لجان حقوق الإنسان الهندية الأصل الممارسات الهندية في كشمیر ، ولم تستطع أن تلتزم الصمت وهي ترى المجازر وانتهاكات حقوق الإنسان في سريناغار .

وتلقى كشمير تعنيماً إعلامياً لم يشهد له مثيل إلا في الدول المماثلة للهند في تعاملها ووحشيتها، حيث فرضت السلطات الهندية منعاً شديداً لدخول الصحفيين إلا للبعض وهم أقل من القليل كما مارست سياسة منع دخول الصحف غير الهندية إلى كشمير وذلك في إطار سياسة التعطيم الإعلامي حتى قام مراسل صحيفة "صنداي تايمز" بشرح بعض ممارسات السلطات الهندية في الضغط على الصحفيين والمراسلين.

كشمير وحق تقرير المصير :

لا أود الذهاب بعيداً في هذا المقام عن تاريخ كشمير والعصور التاريخية التي مررت بها إلا أنني أود أن أسلط الأضواء على مدى التزام الهند بقراراتها وبياناتها فضلاً عن قرارات الأمم المتحدة حيال حق تقرير المصير الكشميريين بأنفسهم .

ففي ١٣ من أغسطس عام ١٩٤٨ قررت الأمم المتحدة - بحضور الهند وباقستان - أن الاستفتاء هو الذي سيحدد مستقبل الشعب الكشميري كما نجح السير ظفر الله في ٥ من يناير عام ١٩٤٩ في استصدار قرار آخر من الأمم المتحدة يفيد بأن تقوم لجنة استفتاء تخير الكشميريين بين الالتحاق بالهند أو بالباكستان أو أن تكون مستقلة، وينقل عن نهرو بأنه يفضل إلحاقها في باكستان ؛ لأنها إذا استقلت فستطالب المناطق الهندية الأخرى بالانفصال وحينها لن يقدر أحد على إيقاف تداعي حجر الدومينيو .

وتقول بعض الروايات التاريخية بأنه قد طلب من باكستان إلحاق كشمير بها مقابل إلحاق حيدر آباد بالهند فرفضت الباكستان وحينها خسرت الباكستان الائتنين بدلاً من خسران واحدة .

وفي الاجتماع السابع والعشرين للأمم المتحدة جاء فيه بخصوص كشمير :

"مهما يكن من أمر في مسألة كشمير فإن الخيار هو للشعب نفسه في أن يلحق نفسه بباكستان أو الهند أو يكون مستقلاً وذلك عندما تعود الحياة إلى مجريها الطبيعي" .

وفي عام ١٩٥١ قال نهرو : "إن كشمير لها الحق أخيراً في تحديد مستقبلها . وفي ٦ من سبتمبر عام ١٩٦٥ - عندما وقعت الحرب الهندية الباكستانية بخصوص كشمير وجبنت قيادة القوات الباكستانية بصرامة في استمرارها بتحرير كشمير ورضخت لما يسمى بالقوانين الدولية التي لا تطبق إلا لغير مصلحة المسلمين ، وإلا فأين القرارات الدولية التي أصدرتها الأمم المتحدة حيال تقرير الشعب الكشميري لمصيره بنفسه . بعد هذه الحرب حصل اتفاق طشقند في روسيا وذلك في عام ١٩٦٦ ووافقت باكستان على الانسحاب من الأراضي التي حررتها إبان الحرب .

وعندما وقعت حرب عام ١٩٧١ بين باكستان والهند وهزمت باكستان وانشقت على إثرها بنغلاديش تم توقيع اتفاقية (سيملا) ورضخت باكستان لبعض الصعب بسبب هزيمتها في الحرب واحتفاظ الهند بأكثر من سبعين ألف أسير باكستاني لديها واعترفت حينها باكستان بخط ما سمي (بخط الهنة) وهو أكبر مأخذ تأخذته الهند على باكستان أثناء محادثتها معها .

المحادثات الهندية الباكستانية وأثرها على كشمير:

تجري محادثات مكثفة بين السلطات الباكستانية والهندية من أجل نزع فتيل التوتر بين الدولتين ، ويقوم وسطاء دوليون بهذه المهمة، ولكن يتوقع أن يكون لأي اتفاق لا يأخذ بعين الاعتبار مصلحة شعب كشمير وقع خطير في كشمير المحتلة خاصة إذا تخلت باكستان عن التزامها بتأييد الكشميريين وهو أمر صعب لأن الجيش الباكستاني من الصعب أن يوافق على هذا أو يخشى البعض من قيام حكومة باكستانية بالمساومة بينها وبين الهند في قضية اضطرابات السند بحيث تتخلى الهند عن

تدخلها هنا وتتخلى باكستان بالمقابل عن تدخلها في كشمير، وهذا ما دعا الجيش الباكستاني أن يطالب وبشدة بتسلم الملف الأمني في المناطق المضطربة حسب ما يقتضيه الوضع الأمني في كراتشي وحيدر آباد وذلك بناءً على المادة رقم ٢٤٥ من دستور البلاد، وقد طالب عدد من السياسيين بتسليم الملف الأمني للجيش خاصة بعد وقوع ضحايا كثُر في الإقليم ، ولكن حكومة حزب الشعب التي كانت تحكم في الإقليم تخشى من انقلاب الشعب عليها في أنها فشلت في حفظ الأمن. وقد يبدو من الممكن الآن بعد إزاحة بي نظير بوتو أن يتسلم الجيش مهمة الأمن في السند .

محنة جديدة

فوجئ العالم بغزو العراق للكويت في الوقت الذي سقط فيه الأنظمة الدكتاتورية في الغرب، ويحصل تغيير في النظرية الاشتراكية في الاتجاه نحو الديمقراطية ورفض تغيير المجتمع من خلال الثورات والانقلابات ، وكان صدام يريد أن يقول إن التغيير القومي الاشتراكي لا يتم إلا من خلال الثورة والاحتلال ، وقد شُرد من جراء هذا الغزو مئات الآلاف من المسلمين الذين يعملون في الكويت وتضررت كثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية وحصل أثناء الغزو ولا يزال فوضى وفقدان للأمن وانتهاك للأعراض ، وتسرعت الأحداث بشكل مؤسف ، مما أدى إلى تفرق الصنف الإسلامي نفسه ، وما زاد الطين بلة تدخل القوى الأجنبية في المنطقة بدعوى حماية الأمن والسلام العالمي والقانون الدولي وعجز العرب والمسلمين عن حل قضيتهم بأنفسهم واختلفوا حول هذا الأمر كعادتهم، وسنحاول تحليل هذا الحدث وآثاره على المنطقة ولو بصورة مجملة وسيكون التحليل كالتالي :

- حسابات خاطئة.
- دخول القوات الأجنبية فرصة ذهبية لها.
- مجلس الأمن.
- احتمالات وتوقعات.
- تغيرات متوقعة في المنطقة.
- مواقف بعض المسلمين .
- مقابلة مع صدام.
- عَبر من الأحداث.

حسابات خاطئة :

لقد أخطأ صدام في توقيته غزو الكويت في هذا الوقت فلم يقدر حقيقة الوفاق الدولي الآن وإناء ما يسمى بالحرب الباردة وسقوط الشيوعية بشكل عام وانهيار أنظمة أوربا الشرقية بشكل خاص فلو كان الغزو - مثلاً قبل سنة لكان من الصعب نجاح الحصار الاقتصادي بوجود أنظمة أوربا الشرقية البوليسية التي كانت تتمتع بعلاقات جيدة مع العراق، ولربما لو كان الغزو قبل اجتماع مالطا لحفظ السوفيت، وعند ذلك يكون موقف أمريكا حرجاً، فأي قرار من الأمم المتحدة لا توافق عليه الدول الخمس وخاصة أمريكا وروسيا لا قيمة له في أرض الواقع كما هو معلوم (كالقرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي استخدم الأمريكان ضدها حق النقض).

وأخطأ مرة أخرى حينما لم تنجح توقعاته في موافقة المعارضة الكويتية (من اليساريين والقوميين) على اجتياح الكويت فلو وافقت المعارضة مثلاً لاعتبر ذلك كاستدعاء بعض اللبنانيين للجيش السوري ليتدخل.

ولذلك بقيت القضية في إطار القانون الدولي : "انتهاك لسيادة دولة وقلب نظامها بالقوة"؛ مما جعل السوفيت وهم أصدقاء للعراق لا يجدون مسوغاً أمام الغرب يجعلهم يرضون بهذا الانتهاك ، فهم بحاجة إلى إثبات مصداقتهم أمام الغرب بأنهم يحمون السلام والأمن العالمي، خاصة وأن السوفيت في هذه المرحلة بحاجة إلى هذه المصداقية ليحصلوا على مزيد من الدعم الغربي.

دخول القوات الأجنبية فرصة ذهبية لها :

الغرب وأمريكا بالذات يتوفان لفرصة كتلك التي أقدم عليها صدام لكي تضفي الشرعية على تدخلها السريع لإنهاء القوة العراقية التي باتت مصدر إزعاج لطفلها المدلل "إسرائيل" (ويلاحظ أن القلق من العراق كشعب مسلم قد يستمر هذه القوة يوماً من الأيام وليس القلق من صدام وحزبه) ومصدر قلقهم أيضاً عدم ضمان مصالحهم في الخليج (يقول وبينغر وزير الدفاع الأمريكي الأسبق إنه من غير المعقول أن تبقى قوة طلقة تحكم بنصف احتياطي النفط العالمي ، إن ذلك يهدد مصالحنا وطريقها في الحياة) "الشرق الأوسط" ٨/١٧ . لذا فمن غير المستبعد أن أمريكا قد رصدت اجتياح العراقي للكويت منذ البداية عن طريق الأقمار الصناعية وغيرها، وربما كان لها دور في ضغط واحراج الكويتيين لصدام في قضية الديون ونحوها لاستفزازه لمثل هذا العمل ، ولعل الأيام القادمة تكشف شيئاً من ذلك.

ويلاحظ المرء تضخيم الإعلام الغربي للقوة العراقية من حيث العدة والإمكانيات بشكل هائل مما أخاف العالم من نشوء قوة جديدة عسكرية واقتصادية قد تغير موازين القوى وذلك ساعد في سرعة التفاعل الدولي في المشاركة بالقوات ، وكذلك إجماعات مجلس الأمن ، ولكن بعد قドوم القوات الأمريكية والقوات المتعددة الأخرى اختلفت النغمة بعض الشيء ؛ فالأسلحة الكيمائية هناك إمكانية من الوقاية منها وغير فعالة في الجو الحار، وصواريخ سكود غير دقيقة الهدف ويمكن رصد تحرك الطائرات والصواريخ العراقية وضربها قبل تحركها... الخ.

على العموم دخلت القوات الأجنبية وسيكون لدخولها آثار كثيرة لعل أبرزها:

١ - إخضاع دول المنطقة لمزيد من السيطرة مما يمكنها من تمرير مخططات كثيرة من أهمها رصد الصحوة الإسلامية عن كثب ومحاصرتها باعتبارها الخطر المستقبلي على "إسرائيل" والغرب ، يقول وزير الخارجية الأمريكية بيكر - مبتهجاً بالتعاون الدولي مع الولايات المتحدة - : "... إن الدول الأعضاء في حلف الأطلسي إذ تعمل جنباً إلى جنب مع دول أخرى لتبرهن على وحدتها في مواجهة الخطر المشترك وأعتقد أننا نبرهن على أننا قادرون على العمل معاً في عصر جديد للتصدي للتهديدات القادمة من مصادر جديدة وجهات جديدة".

٢ - مزيد من اعتماد المنطقة على العنصر الأجنبي في شؤونها المختلفة يدعوها إلى الارتماء في أحضان الغرب واستمرار التدخلات الأجنبية بدعوى الحفاظ على أمن المنطقة.

مجلس الأمن :

لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة تُتخذ خمس قرارات في قضية واحدة خلال أقل من ثلاثة أسابيع وقرارات بالإجماع (وهذه القرارات حول إنهاء الغزو والمطالبة بالانسحاب وعودة الحكومة الشرعية وفرض العقوبات الاقتصادية واستخدام القوة لفرض ذلك) . وقد يقول قائل إن ذلك أمر

طبيعي ؛ لأن المسألة فيها انتهاك صريح للقانون الدولي ولكن ذلك الجواب فيه سذاجة لأن "إسرائيل" - مثلاً - تنتهك القانون الدولي منذ أكثر من أربعين سنة ومع ذلك تستخدم أمريكا حق النقض ضد أي قرار فيه إدانة - مجرد إدانة - لـ"إسرائيل" ، فضلاً أن يكون القرار ذا أثر عملي ، بالطبع السبب معروف وهو أن وجود "إسرائيل" في المنطقة فيه تحقيق لمصالح غربية كثيرة بل هي امتداد للغرب وجزء منه أما قوة العراق فقد تهدم المصالح الغربية في المستقبل ونحن لا نقول ذلك دفاعاً عن صدام ونظامه البعثي ، ولكن نخشى أن يكون المقصود من الضربة الشعب العراقي وقوته العسكرية والاقتصادية وليس صدام ونظامه فحسب.

احتمالات وتوقعات :

التوقعات كثيرة والمفاجآت واردة وسنقتصر على أبرزها :

١ - حينما يشعر صدام بضغط الحصار الاقتصادي وعدم إمكانية الحوار قبل انسحابه من الكويت فقد يفاجأ العالم بالانسحاب بعد تحقيق بعض مصالحه ، كما فاجأ العالم بقبول اتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥ حول السيادة على شط العرب ، رغم أنها كانت السبب الرئيسي لحربه مع إيران ، ومما يؤيد هذه الاحتمالات مبادرات صدام حول الرهائن وإمكانية إطلاقهم إذا انسحب القوات الأجنبية ، وكذلك توجيه العراق لسفنه بالخصوص للتفتيش ، فإذا نفذت مبادراته ومحاولاته ولم يجد ليونة من الغرب فقد يلجأ إلى الانسحاب ، ولكن يا ترى إذا انسحب صدام هل يسلم من الضربة العسكرية؟ المتوقع حين الانسحاب عدم الضربة العسكرية ؛ لأن السوفيت والصين لن يرضوا بذلك باعتبار أن العراق قد التزم بالقانون الدولي وقرارات مجلس الأمن ، وعند ذلك يصعب على الولايات المتحدة اتخاذ قرار فردي مما يعني ضربة قاضية للوفاق الدولي . ولكن هل يترك الغرب قوة العراق طليقة؟ .

في الواقع إن الغرب لن يترك قوة العراق ولكن سيستخدم وسائل أخرى عن طريق المخابرات لترتيب انقلابات أو غيره ، يقول وزير الخارجية الفرنسي جان فرانسوا بونسيه - والذي قام بدور مبعوث للرئيس الفرنسي إلى بعض الدول حول الموقف في الخليج - : " بأن الجميع يتحدث عن شرطين أساسيين للحل هما انسحاب القوات العراقية، وإطلاق الرهائن . ولكن هناك شرط ثالث يفك فيه الجميع من دون الحديث عنه ، وهو حتى حال قبول العراق لهذين الشرطين كيف يمكن إيقاف تهديد العراق للمنطقة في المستقبل بالقوة العسكرية التي يملكها؟!" . "الشرق الأوسط" ٨/٣١ وقد يستمر في تصعيده فيزداد تذمر الشعب العراقي من شدة المعاناة والحصار وخوض معارك دون فائدة ، فيؤدي ذلك إلى انقلاب عسكري وانهيار النظام .

٢ - قد تتواتر الأجواء من خلال قضية الرهائن أو غيرها وعندئذ تنشأ حرب مدمرة سيكون لها آثار في مستقبل المنطقة وعلاقاتها .

إذا الحرب واردة، وأمريكا تكامل رصدها للمواطن الحساسة في العراق ، والتآكل مع الصحراء، ولكن الحرب إذا ما وقعت فستكون آثارها مدمرة، فالعراق يملك أسلحة فتاكة وسيستعملها إذا وجد نفسه محاصراً من كل الجهات.

تغيرات متوقعة في المنطقة :

- ١ - سينظر الغرب إلى منظمة التحرير الفلسطينية نظرة أخرى ويسعى إلى إيجاد بديل عنها .
- ٢ - قد تستغل أمريكا تفاعلاً مع سوريا فتوكل لها مهام جديدة في القضية الفلسطينية من خلال دعم المنظمات الموالية لسوريا بتحويل بعض أموال الخليج لها بشرط البدء بحوار مع "إسرائيل"

لإعداد لكامب ديفيد آخر، وقد أبدت واشنطن ولندن ارتياحهما من إطلاق الرهينة الأيرلندي ودور إيران وسورية في ذلك.

٢ - ربما يبرز الآن الخيار الأردني، وهو الفكر الذى يطرحها حزب الـليكود أن الأردن هو بلد الفلسطينيين ، خاصة إذا هاجر عشرات الآلاف من الفلسطينيين من الكويت وال سعودية إلى الأردن وضعف الدعم الخارجي للأردن مما سيزيد الضغط السياسي والاقتصادي على الأردن وقد يسبب ذلك انهياراً للنظام والله أعلم.

٣ - هناك دلائل الآن تشير إلى عودة العلاقات بين السعودية وإيران ، وقبل ذلك قد ينتهي التوتر بين إيران والغرب وأمريكا خاصة إذا استمرت إيران فيما يلي :

أ - التزامها بالحصار الدولي المفروض على العراق.

ب - ومساهمتها في إطلاق الرهائن الغربيين في لبنان. وهناك دلائل كثيرة تشير لذلك .
فمنها ما صرخ به الرئيس الإيراني من أن إيران لا تمانع في أن تطرد قوات أجنبية العراق من الكويت مادامت سترحل بعد ذلك (رويتر ٨/٢٥) ومن أن اتفاق العراق مع إيران لا علاقة له بغزو العراق للكويت.

ومنها ما صرخ به وزير الخارجية الكويتي لصحيفة الحياة (٨/٢٨) من أنه ناقش مع الإيرانيين العلاقات السعودية الإيرانية وسبل تحسينها ووجد بعض التفهم والرغبة .
على العموم لا زالت إيران تستثمر وتستفيد من الأحداث لمصلحتها ولتحسين صورتها في الخارج ، يقول وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية وولد غريف إن على بريطانيا أن تعيد تقويم علاقتها مع سورية وإيران في ضوء التحالفات المتغيرة في الشرق الأوسط حيال أزمة الخليج (رويتر ٨/٢٦)

مواقف بعض الإسلاميين :

أحزننا موقف بعض المسلمين من الأحداث (١) - رغم تحفظنا حول دقة ما يُنقل عنهم - وذلك عندما أيدوا صدام حسين ، بل صرخ بعضهم بوجوب القتال معه ، وهذا - بلا شك - مأساة سببها البعض عن المنهج الصحيح والوزن بميزان واحد، ميزان الكتاب والسنة دون محاباة أو مجاملة لأي حاكم من الحكام ، وهل صحيح أن صدام غير وبدل ، مع أن موقفه من الدعاة والحركات الإسلامية واضح ، ولم يتغير شيء من مبادئ الحزب ومناهجه ، وفي آخر مشروع للدستور الذي نشرته مجلة "ألفباء" عدد ١١٤٠ في ١٠ من محرم عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠/٨/١ يقول في المادة الخامسة : "يحظر على غير حزب البعث العربي الاشتراكي العمل السياسي أو الحزبي في القوات المسلحة". وفي المادة نفسها : "يحظر تأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات التي تقوم على أساس زج الدين في السياسة".

كما جاء في المادة (١٥) من مبادئ الحزب : "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين..." وفي المادة (٦) : "حزب البعث العربي الاشتراكي انقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الانقلاب والنضال ، وأن الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالإصلاح الجزئي يهددان هذه الأهداف بالفشل والضياع". وفي المادة (٤) : "ترمي سياسة الحزب إلى خلق جيل عربي جديد يأخذ بالتفكير العلمي وطريق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية" (انظر : نضال حزب البعث لميشيل عفلق ١٧٠/١)

يتضح لنا من هذا أن :

١ - الانقلابات مبدأ من مبادئ الحزب.

٢ - الرابطة الإسلامية لا قيمة لها وأن الدعوة إليها دعوة طائفية مذهبية.

٣ - رفض ما يسمونه قيود الخرافات والتقاليد الرجعية، ويعنون بذلك تعاليم الإسلام في شأن المرأة والحدود.

ثم هل يعتقد الدعاة أن صدام غزا الكويت بقصد إزالة حكم فاسد ليقيم بدلاً منه الحكم الإسلامي ومن ثم من حكم أن تؤيدوا، أم ليحقق طموحات حزبية شخصية؟ ، فمعرفة الهدف من الغزو والاحتلال تحدد الموقف الواجب وهل نربى شباب الدعوة ليقاتلو تحت راية هذا الطاغوت أو ذاك؟

لقاء مع صدام حسين :

سنختار مقتطفات من لقاء أجرته مجلة "الوطن العربي" - التابعة للنظام البعثي - في عدد ٦٦٨ الجمعة ١٢/١٩٨٩ (قبل تسعة أشهر تقريباً) ليتضح لهؤلاء مدى كذبه وتناقضه. (أجرى الحوار رئيس التحرير وليد أبو ظهر).

- الوطن العربي : ... وهناك إجراءات في بعض الدول العربية وفي المنطقة العربية تزداد نبرة الإقليمية، ولم يبق غير العراق وغير صدام القومي العربي، لذلك صرت تجد تيارات دينية، وقبل انتصار العراق كان الإنسان - حركة وطنية قومية - يخشى أن يتصدى للتنيارات الدينية.

- صدام حسين (مقاطعاً) : تقصد التيارات السياسية المغطاة بغيطاء الدين؟!

- الوطن العربي : نعم ، سيادة الرئيس ، الحركة الوطنية والقومية لديها الآن شجاعة التصدي لهذه التيارات وربما تصل إلى المستوى المطلوب لكنها وصلت إلى أن يقفوا ويتصدوا وبذلك رغم بعض الحالات كالانتخابات في الأردن مثلاً، وأنا ذهبت إلى الأردن قبل الانتخابات وشاهدت الأجواء ولدى الإخوان المسلمين هناك مستشفيات ومستوصفات لتطبيب الناس مجاناً.

- الرئيس صدام : من أين يأتون بالأموال لتطبيب الناس؟ هناك دول غير قادرة على تطبيب مواطنها ؛ لأن ثمن التطبيب مرتفع .

ملخص الكلام السابق يزيد رئيس التحرير أن يقول : إن وقوف العراق أمام الزحف الإيراني هو انتصار للقومية العربية التي كانت تنتهي لو لا ذلك الانتصار (كما يزعم)، مما أعطى القوميين شيئاً من النشوة والافتخار وجعلهم يتصدرون للتنيارات الدينية (يقصد بالطبع الإسلامية) ، المنافس الوحيد له.

ويلاحظ من كلام صدام عدم القناعة بعلاقة الدين بالسياسة، ولذلك قال : تقصد التيارات السياسية المغطاة بغيطاء الدين (أي التي تستغل الدين)، وكذلك استغرايه من الخدمات الخيرية التي تقدم للناس ، وهذا الأمر غير مستغرب ، فأهل الخير المحسنين كثيرون والحمد لله، وربما يقصد الرئيس أن لهؤلاء علاقة بالقوى الخارجية الرجعية على حسب تعبير الرفاق التقديرين.

- الوطن العربي: بعد مؤتمر الطائف كيف تجدون الحل في لبنان؟

- صدام : نحن ننظر إلى الاحتلال نظرة لا نستطيع إزاءها مساومة كائن من يكون وهي أن كل احتلال لأرض عربية من العربي أو الأجنبي حالة كافرة، لأن احتلال الجيش العربي للأرض عربية يهشم الأمن القومي العربي والتضامن العربي ، وعندما يتهاشم مفهوم الأمن العربي وإمكاناته عند ذلك تصبح كل بلداننا مفتوحة أمام احتمالات أن يحتلها الأجنبي.. إلى أن يقول : نرى أن الحل الجذري يكمن في انسحاب القوات المحتلة للبنان !

تعليق : بإمكان منقذ الأمة العربية أن يطبق هذا الكلام على نفسه .
عبر من الأحداث :

على الدعاة أن يستفيدوا من الأحداث ويستغلوها لمصلحتهم ، ويقطعوا الطريق على أعداء الإسلام ولا يمكنهم من تمريض مخططاتهم الخبيثة ويجب علينا أن لا ننأس أو نتشاءم فلعل في هذه الأحداث خيراً لنا حين نأخذ منها العبر والدروس ومنها:

١ - التأمل في سنن الله في المجتمعات والدول ، فالحال التي وصلت إليها الكويت تؤذن بشيء مما حذر ، فلا نستهين بآثار الذنوب والمعاصي ؛ يقول الله - عز وجل - : ((وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقاً علية القول فدمراً ناهما تدميراً)) [الإسراء: ١٦] . ويقول الله - تعالى - : ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رَزْقُهَا رَعَادًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمَ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) [النحل: ١١٢] . ويقول - تعالى - : ((أَفَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيْتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا ضُحَىًّا وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَمِنْ وَمَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)) [الأعراف: ٩٩-٩٧] . ومن أعظم الذنوب تحكيم القوانين الوضعية ، وموالاة الكفار ، والربا ، والزنا ، والظلم ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... الخ .

٢ - لابد من الاهتمام بالعقيدة والتوجيد وتربية الناس على ذلك ، فقد كشفت الأحداث ضعف التوكل على الله عند الكثيرين وشدة التعلق بالأسباب المادية ، وتعظيم الكفار والخوف والرجاء من غير الله.

٣ - ضرورة الوعي وفقه الواقع ؛ فقد ذكرنا قبل قليل تأييد بعض الدعاة لصدام ، وقبل ذلك أيد بعضهم الخميني وغيره فإلى متى هذا التخبط والتقلب على حسب أحوال الطقس السياسي ودون النظر إلى الواقع وتقييمه من خلال الأصول المرعية ؟!

٤ - الحذر من تضليل وسائل الإعلام : فالجميع يعرف أن وسائل الإعلام العربية صنعت من صدام بطلاً وتغاضت عن جرائمه المختلفة . مما جعل الكثيرين يعجبون به ، فلو كشف الإعلام جرائم حزب البعث وجرائم صدام في حلبة وغيرها لما لقي التأييد الذي لقيه الآن .

٥ - انكشف بعض الأنظمة وسقوط شعارات القومية العربية، فقد أثبتت الأحداث كذب دعوى القوميين حرصهم على الوحدة والأمن العربي فأفعالهم تدل على نقيش ما يقولون فيجب أن يستفيد الدعاة من ذلك فيكشفوا للناس حقيقة هذه الأنظمة والشعارات ويبينوا للناس أن الخلاص لهم بالإسلام وبالقيادات المسلمة الوعية والصادقة .

وأخيراً نقول للMuslimين كفى تخبطاً وتعلقاً بغير الله ونقول للدعاة احرصوا على الوحدة واجتنبوا الفرقة وكونوا على مستوى الأحداث ؛ فالآمة تنتظر منكم الكثير .

نسأل الله عز وجل - أن يجنبنا الفتنة ما ظهر منها وما بطن وأن يربينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمتنا ودنيانا التي فيها معاشنا وأن يرفع عن المسلمين محنتهم ويرزقهم الصبر والاحتساب ، ويرزقنا وإياهم التوبة النصوح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

- ١- يُستثنى من ذلك الذين طالبوا بانسحاب العراق من الكويت كما رفضوا في الوقت نفسه التدخل الأجنبي .

الإسلام والمسلمون في السنغال

من الإخوة الذين اشترکوا في دورة العلوم الشرعية التي نظمها المنتدى الإسلامي الأخ محمد بامبان جاي ، وقد انتهزنا فرصة وجوده وأجرينا معه هذه المقابلة التي تلقي الضوء على بلد من البلاد الإسلامية في إفريقيا، وهو "السنغال".

س - أخ محمد هل لك أن تعطينا فكرة عن السنغال من حيث سكانها، موقعها، مواردها الاقتصادية؟

ج - أعود بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد :

السنغال دولة من دول إفريقيا الغربية، يحدها شماليًّا جمهورية موريتانيا الإسلامية، وجنوبًا جمهورية غينيا بيساو، وشرقاً جمهورية مالي وغينيا، وغرباً المحيط الأطلسي، ومساحة البلاد ١٩٢ ألف كيلو متر مربع ، ونالت استقلالها عام ١٩٦٠م وكانت مستعمرة فرنسية، أما نسبة المسلمين حسب الإحصائيات التي أقيمت عام ١٩٨٠م فقد بلغت حالياً ٩٤٪ ويمثل المسيحيون ٤٪ والوثنيون - الذين هم أناس يسكنون في إقليمي تامباكوندا في شرقي السنغال وكازموسن في الجنوب - ويمثلون ٢٪ وهم أناس مازالوا على فطرتهم !

أما التروات فالسنغال بلد زراعي يعتمد حوالي ٨٠٪ من السكان على الزراعة وتربية الماشي وأدى هذا إلى بعض المشاكل ؛ لأن البلد تتعرض للجفاف منذ ما يزيد عن عشرة أعوام ، وهناك ثروات معدنية بسيطة مثل الفوسفات ، وتم اكتشاف البترول ولم يستغل بعد وهو نفط بحري في حدودها مع غينيا بيساو، ومازالت هذه المنطقة النفطية موقع نزاع بين السنغال وغينيا بيساو حالياً، وهنائى الحديد في شرق السنغال وقد اكتشف حديثاً ولم يستغل بعد، وكذا الذهب في نفس الأقاليم في الشرق، والسنغال من الدول التي تنتج السمك بكثرة، لأنها تقع على المحيط الأطلسي، وفيها ما يزيد على ثلاثة أنهن : نهر السنغال، ونهر كاميما، ونهر كازلاماس ، أما المحاصيل الزراعية الرئيسية فالفول السوداني ثم الذرة والحبوب .

س - متى دخل الإسلام إلى السنغال أو متى دخل أهلها في الإسلام وعلى يد من ؟

ج - القول المعتمد الذي عليه براهين وأدلة تاريخية هو أن الإسلام دخل السنغال على يد المرابطين مع حركة عبد الله بن ياسين وذلك في القرن التاسع الهجري وربما هذا له دلالات كثيرة جداً ، وهناك شيوخ تعلموا على أيديهم واعتنقوا الدين الإسلامي، وهم أيضاً بدأوا حركة في (فتا) ثم بعد عبد الله بن ياسين وحركته بدأ بعض السنغاليين يروجون للدين الإسلامي في باقي أرجاء الوطن منهم الحاج عمر الفتوي وال حاج مالكسي الذين كانوا ينشرون الدين في ربوع البلاد..

ولما دخل الاستعمار الفرنسي السنغال كانت السنغال دولة مسلمة، والأكثر من ذلك هناك أدلة تاريخية تقول : كان هناك دولة إسلامية في فتا في القرن السابع عشر عند مجئ الفرنسيين (وهذا غير بعيد عن الصواب) ، الفرنسيون لما جاءوا حاربوا بعض الملوك الوثنيين في منطقة جلق في قلب البلاد وفي كايوور وكانت شبه دواليات صغيرة أما باقي البلاد فكانت تحت أيدي شيوخ مسلمين يحكمون مناطقهم بالشريعة الإسلامية، ومن هذه المناطق (فتا) وكان فيها الشيخ سليمان بعل وإلى الآن توجد مخطوطاته وكان يحكم البلاد في كل الجوانب الإدارية ولما قتلته الفرنسيون عينوا الشيخ (عبد القادر كان) وكان آخر شيخ ، وكانوا يطلقون اسم الإمام على الشيخ الذي كان يدير البلاد مثل الإمام سليمان بعل والإمام عبد القادر كان . والشيوخ تعلموا في السنغال وهناك مراكز علمية تعتبر بمثابة جامعات،

والدليل على رسوخ الدين الإسلامي في البلاد أن أكثرها كانت تدرس اللغة العربية، وإذا أطلعنا على اللغات القومية الموجودة في السنغال نجد الكثير من المفردات المستعملة مشتقة من اللغة العربية، ومن هذه اللغات اللغة الولوفية نأخذ مثلاً أيام الأسبوع ، اسمها كلها عربية ماعدا يوم الأحد ويسمى بيير، أما باقي الأيام : السبت ، الاثنين : تنين ، الثلاثاء: ثلاثة، الأربعاء: أربع ، الخميس: الخامس ، الجمعة: الجمعة ، وكان الفرنسي أثناء الاحتلال مجبراً على استعمال اللغة العربية في الدواوين ، وكانت السنغال مدخلاً للصحراء إلى مالي وكانت مركزاً ويسمونها غرب إفريقيا الفرنسية، وكانت تسمى كذلك السودان الغربي الفرنسي .

س - أثناء وجود الاستعمار الطويل هل ظهرت حركات مضادة للاستعمار؟ أو حركات إسلامية يقودها علماء؟

ج - الحركات بدأت قبل دخول الاستعمار، إن دولة الإمامية في فتا كان على رأسها شيوخ وعلماء قاوموا الفرنسيين أشد المقاومة في أواخر القرن التاسع عشر ، فالحاج عمر الفوتي قاوم الفرنسيين مدة ٨ سنوات ثم توفي مقتولاً على أيديهم ، وحركة الشيخ (أحمد بادئ خبا) وهو عالم مسلم يقود أشد حركة لمقاومة الفرنسيين (١٠ سنوات) ، والفرنسيون اعترفوا بذلك وبعد ذلك قضوا عليه بعد محالفات عقدوها مع الملوك الوثنيين في عام ١٨٨٦ وكذلك ما يسمى (تمرد العلماء) عام ١٩٠٥ م حيث قام كثير من العلماء وعلى رأسهم (عثمان جمكمة) بحركة تمرد ضد الفرنسيين حيث جهزوا أنفسهم لمدة أشهر دون أن يعلم الفرنسيون بذلك وشنوا ثورة عنيفة ضد الفرنسيين دامت ٥ أشهر فقط ، وكانوا يقولون صراحة إنهم يحاربون الكفرة لإخراجهم من بلاد المسلمين ، وكان قمع هذه الحركة شديداً جداً ؛ حيث إن الشيخ عثمان جمكمة قُتل ليكون عبرة للذين يأتون من بعده.

ومن الذين قاموا بالمقاومة ضد الفرنسيين الشيخ محمد بumba الذي نُفي إلى غابون . وكذلك شيوخ آخرون استمروا في المقاومة حتى عام ١٩٢٠ وقد اضطر المستعمر الفرنسي لإقامة مدرسة للقضاة والمترجمين ، تهدف إلى تربية أولاد هؤلاء الشيوخ ، وفي ذلك يقول الحاكم الفرنسي للسنغال آنذاك مبيناً الهدف من هذه المدرسة :

"لابد أن نوجد لهم مدرسة نكون فيها أبناءهم ونفسر لهم فيها القرآن تفسيراً لا يتنافى مع الحكم الفرنسي ، ونعلمهم فيها الفقه تعليماً لا يكون منافيًّا مع ما تريده الإدارة الفرنسية". وقد لعبت هذه المدرسة دوراً مهماً في هذا المجال وبعد ذلك أخذوا أولاد الشيوخ والعلماء الذين حاربوا آباءهم إلى باريس لتلقي العلم الغربي، وبعد عودتهم هادنوا المستعمر وبدأت المقاومة تهداً شيئاً فشيئاً .

س - ما هي الحركات السياسية الموجودة في السنغال. ويلاحظ المرء كثرة المنظمات الشيوعية، وليس بينها أحزاب أو جماعات تقابلها من المسلمين هل هذا صحيح أم أن هناك جماعات تتصدى لهؤلاء؟

ج - حالياً يوجد ١٧ حزباً سياسياً وأكثرها شيوعي، ماعدا الحزب الاشتراكي الحاكم ، وهو ليس حزباً شيوعياً، وحزب المحافظين وحزب العمال ، والدستور السنغالي ينص في بند الثالث على أنه من الممنوع منعاً باتاً تكوين أي حزب على أساس ديني ..

وهناك جماعات تتصدى لهؤلاء الأحزاب مثل حركة الفلاح للثقافة الإسلامية السلفية وهي حركة كبيرة جداً، وجماعة عباد الرحمن وهاتان الحركتان لعبتا دوراً كبيراً في التصدي لمواجهة الشيوعيين والعلمانيين وكان البعض يتسائل : هل السنغال يحتاجحقيقة إلى حزب إسلامي نظراً لأن الجماعتين لهما حرية التصدي والتحرك. وهناك مجلة تصدر باللغة الفرنسية وتقرأ بها مقالات سياسية بحثية،

وهناك في كل أسبوع على الأقل محاضرة كبيرة علنية بالفرنسية أو باللغات المحلية أو باللغة العربية.

وبالجملة فإن هذه الحركات الإسلامية غير المرخص بها تقوم بنشاط ملموس وتصدى لكثير من المشاكل التي يثيرها العلمانيون الادينيون ، وتهاجم برامج العلمانيين المتعارضة مع الإسلام مما يضطر الدولة بين وقت وآخر أن تصدر بيانات تحذيرية لهذه الحركات والجماعات كي لا تتدخل في السياسة ولا تهاجم العلمانية المنصوص على وجوب احترامها في البند الأول للدستور . ومع هذا فإن الضغط لإزالة العلمانية من الدستور يزداد يوماً بعد يوم ، وبعد أن كانت مبدأً متفقاً عليه في السابق أصبحت الآن تهاجم من جهات كثيرة من الشعب وزال ما كان لها من هالة وتهويل.

س - ألم تؤثر أحداث أوروبا الشرقية على الشيوعيين والتيار اليساري؟

ج - أثرت وأصبح الشيوعيون يعيشون أزمة، وحدث في الأيام الأخيرة أن أستاذًا للفلسفة ينتمي إلى حزب الرابطة الديمocratique - وهو أكبر حزب شيوعي في السنغال - وله نشاط وسيطرة في المجال التعليمي والتربوي هذا الأستاذ تكلم في درس له بكلام غير لائق بحق الله - تعالى - وبحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتصدى له أحد الطلبة وثار بينهما نقاش أدى إلى الضرب ، ثم رُفعت القضية إلى مجلس الجامعة فطرد الطالب فحدث على إثر ذلك ضجة كبيرة جداً تضامناً مع هذا الطالب ، وعقدت محاضرات وأرسلت احتجاجات إلى رئيس الدولة وإلى البرلمان ، وكانت نتيجة لذلك أن أعيد الطالب إلى الدراسة ونقل الأستاذ، وألفت لجنة لإعادة النظر في مناهج الفلسفة التي كانت منبراً للمهاجمين للإسلام في المدارس.

س - لا شك أن هناك مشاكل وصراعات ما بين المسلمين أنفسهم ، وخصوصاً نحن نعلم أن الصوفية لها جذورها في إفريقيا، وأن الصوفية من خلال تاريخها دائماً ترتبط بالحكومات التي تعاصرها، فهل هناك مثلاً ضغوط من الصوفية على الناس الذين يحبون أن تكون الدولة ذات توجه إسلامي؟

ج - نعم هناك ضغوط كبيرة خاصة في السنوات الماضية، السنغال يتميز بكثرة الطرق الصوفية، وهي كثيرة وربما لا يعرفها العالم الإسلامي لأنها سنغالية المنشأ، وعادة رؤساء الطرق يشجّعون من قبل الدولة ويدعمون بالمال الذي يوزعونه على مراديهم ، ويحضر المسؤولون الاحتفالات التي يقومون بها، فيعبر مشايخ الطرق عن ولائهم للدولة وموافقتهم على مواقفها السياسية، وتحاول الدولة تشجيع هؤلاء ودعمهم لأنهم بديل مأمون ولا خطر منهم ، بعكس دعاة الإسلام الذين عندهم تجد وإنفاس وعلم شرعي صحيح فإن الدولة تضغط عليهم وتحاول عزلهم بكل الوسائل.

ومع هذا فإن زعماء الطرق الصوفية قد تضاءل أثرهم عن السابق ، وذلك لأن نسبة الوعي قد ازدادت نسبياً بين الأتباع (وإن هي لم تصبح كاملة ومثالية) حتى أن من زعمائهم من يشارك في التجمعات الإسلامية غير الصوفية ويحرص على الظهور فيها حتى لا يجرفه تيار النسيان ويسحب البساط من تحت قدميه مثل زعيم الطائفة التيجانية الشيخ عبد العزيز سي .

س - ما هو حجم الحركات التي تنتهج منها أهل السنة؟

ج - هناك حركة الفلاح السلفية للثقافة الإسلامية، وقد أنشئت قبل الاستقلال من قبل الشيخ محمود يار - رحمه الله - وقد كانت محدودة إلى الثمانينات ثم انتشرت وأصبح لها فروع في فولتا العليا ومالي وموريتانيا وغينيا، وفي السنغال لها فروع في جميع الأقاليم ولها فرع للشباب وآخر للنساء.

وهناك حركة عباد الرحمن وهي حركة جديدة، ومؤسسوها تربوا في حركة الفلاح وهم من المثقفين والمعلمين. وعلى كل حال فإن أكثرية الشعب السنغالي لا تفرق بين حركة الفلاح وحركة عباد الرحمن.

س - ماذا عن موقف رئيس الدولة من الإسلام؟

ت -- كما تعلمون فإن ليوبولد سنغور هو الذي عين الرئيس الحالي ،وليوبولد سنغور محب لفرنسا حتى العبادة، وإن كانت أصوله إسلامية، لكن فرنسا احتضنته ونصرّته منذ صغره وعملت على شهرته ، وفي أوائل الثمانينات بدأ الشعب يتململ وبدأ يطرح مشكلة دين الرئيس ومشكلة إيجاد وزارة مستقلة للأوقاف الإسلامية، فما كان من سنغور إلا أن عين (عبدو ضيوف) وهو مسلم وزوجته مسيحية متعصبة تربت في المدارس الكنسية.

ومع أن الشعب أيده - لأنه مسلم - لكنه عمل أعمالاً لم يكن سنغور يجرؤ على القيام بها، فقد تلاعب في قانون الأحوال الشخصية، وكما هو جار في كثير من البلدان الإسلامية فإن كثيراً من الأمور لم يكن يجرؤ المستعمرون على القيام بها قام بها أناس من بني جلدتنا.

س - في العالم الإسلامي اليوم حركات باطنية لها نشاط واسع ومحموم مثل البهائية والقاديانية والرافضة ... فهل لهذه الحركات وجود في السنغال ؟

ج - السنغال يعني من نشاط الحركات الباطنية ؛ فالناسونية منتشرة منذ القدم ، وقد شن أهل السنغال حملة قوية ضد الناسونية التي كان لها مراكزها ومستوصفاتها فحلت محلها الكنيسة في إدارة هذه المراكز ؛ مما يدل على التعاون والتنسيق بين الكنيسة والناسونية.

أما الرافضة فأثرهم في صفوف أهل السنغال ضئيل وينحصر نشاطهم ضمن الطائفة اللبنانيّة، وقد ازداد نشاطهم بعد ثورة الخميني تجاه الشعب السنغالي ففتحوا المدارس ، ووزعوا المطبوعات الإيرانية، وكذلك الدعوات وتذاكر السفر لزعماء الصوفية ولبعض الشباب للذهاب إلى إيران. ونتيجة لوعي المسلمين هناك فإن نشاط الشيعة انحسر ، والسفارة الإيرانية لم تعد توزع مطبوعات إيران كما كان الحال سابقاً .

س - هل انعكس الخلاف بين الموريتانيين والسنغاليين على واقع السنغال؟

ج - الانعكاس واضح في المجال الاقتصادي في كلا البلدين ، وكذلك في مجال العلاقات حصلت أشياء سلبية، وقد كانت هناك أصوات خبيثة تحرض كلاً من الشعبين ضد الآخر، وقد لعبت فرنسا دوراً لا يستهان به في ذلك عن طريق نشر الأخبار والتهديل فيها، وقد بدا في حمى الأزمة أن الحكومة عاجزة عن فعل شيء ، ولكن من حسن الحظ أن تلك الأزمة حصلت في شهر رمضان فاستغل الإسلاميون هذه المناسبة واستثروا ميل الشعب إلى الانتقام سواء في موريتانيا أو في السنغال ، وسرعان ما هدأت الأمور بعد هذا الدور الذي قامت به جماعتنا الفلاح وعباد الرحمن في كلا البلدين. وصاروا يجتمعون في غامبيا - وهي داخل السنغال - ويمكن لكل من الموريتاني والسنغالي أن يدخلها وتتألف لجنة مشتركة وأصبحت تجتمع لإيجاد الحلول لهذه المشكلة المؤسفة. ختاماً لهذه المقابلة تتقدم مجلة "البيان" بالشكر لأخ الكريم محمد بامبان جاي على هذه المعلومات التي أدلّى بها لنا عن السنغال .

رسالة إلى الأخت المسلمة

أشرف شعبان

إليك يا أختي المسلمة أخط بضع كلمات هي إلى العضة والتذكير أقرب منها إلى النصح فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأنّة المسلمين وعامتهم ، فاعلمي أنك على ثغر من ثغور الإسلام ألا وهو الأسرة المسلمة وتربية أطفالها فلا يصح أن يُؤتى من قبلك ، فارتداوك الحجاب الإسلامي الفضاظ وغير الشفاف وما يتبعه من خمار لا يعني نهاية الطريق بل هو بدايته ، به تعانين أمّا الملاً انضمّامك للصف الإسلامي وتمسّك بتعاليم الإسلام وأوامره ونواهيه والتزامك به في سلوكياتك وتصرفاتك أمام أهلك وأمام المجتمع.

ولتعلمي يا أختي أن المحن والابتلاءات ستدور عليك وحولك : ستختَرين بين من يقدم لك متع الدنيا وبين من لا يملك سوى دينه يريده زوجة له ، فتذكري حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : «إذا أتاك من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» ولّك في نساء الصحابة أسوة حسنة حين أتَ رسول الله زواج إحداهن بمهر وقدره خاتم من حديد أو بما حفظ من آيات القرآن الكريم. وتحتنين في أقرب الناس إليك: زوجك أو ابنك، فقد يجر أحدهما أو كلاهما على الرحيل من بلده فراراً بدينه أو للجهاد في سبيله هنا وهناك ، فلا تحزني فالدنيا مهما طالت أيامها معدودة وقصيرة وستلتقين بهما لتتضمنوا سوياً إما بالنصر أو النعيم في الجنة وهذا هو الإسلام وذروة سنامه ، ستتدوقين شظف العيش ويخلو بيتك من الملاذات فتذكري أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان يمضي عليه ثلاثة شهور دون أن تشتعل فيه نار ، فلا تترددي أو تضعفني يا أختي أمّا المحن والابتلاءات فكلما ازداد إيمان الفرد اشتد بلاه ، وتذكري حديث رسول الله «إن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء ثم الصالحون» وكل ابتلاء يثاب عليه المؤمن في جسده أو ماله أو ولده ليخرجه من الدنيا كما ولدته أمه بلا ذنب واعلمي أن حياتك الدنيا ما هي إلا دار ابتلاء وامتحان ، فمن صبر وشكر فهو مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء في جنة الخلد عند مليك مقدر. جعلنا الله وإياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنـه .

تربيـة

جوانـب من الـبناء العـقـدي لـلـطـفـلـ الـمـسـلـمـ

خولة درويش

تعويـدـ الـأـطـفـالـ حـبـ رـسـوـلـ اللـهـ -صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- وـتـوـقـيـرـهـ :

على الوالدين ومحبّي الأطفال أن يغرسوا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس الناشئة، فحب رسول الله من حب الله - جل وعلا - ولا يكون المرء مؤمناً إلا بحب الله ورسوله عن أنس - رضي الله عنه - قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى تكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (١) .

وعليـناـ أـنـ نـفـهـمـ الـطـفـلـ بـعـضـ الشـمـائـلـ الطـيـبـةـ، نقـبـسـهـاـ مـنـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ، مـنـ صـفـاتـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- مـثـلـ: الرـحـمـةـ بـالـصـغـارـ، وـبـالـحـيـوانـ وـبـالـخـدـمـ... وـأـنـ نـحـكـيـ لـهـ بـعـضـ الـقـصـصـ الـمـحـبـيـةـ فـيـ هـذـاـ

الشأن من سيرته - عليه الصلاة والسلام - ، ومن سيرة أصحابه الكرام ، وذلك حتى يتخلق بخلق رسول الله ، فيرحم الصغار والضعاف ، ولا يؤذى الحيوان .

ونغرس في نفوس أطفالنا خلال سردنا لمواصفات من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم- أثر تطبيق الدين في السلوك والخلق والعبادة... فتتأثر نفوسهم ، وتفاعل قلوبهم بحب الرسول - عليه الصلاة والسلام - وحب رسالته ، وفي ذلك المغفرة وجنات النعيم ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّنُكُمْ اللَّهُ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [آل عمران: ٣١] .

وعلى المربى أن يعلم الأطفال الصلوات الإبراهيمية وأن يحفظوها إن أطاقوا ذلك ، فالصلاحة على النبي ترفع الدرجات ، وتتضمن شفاعة المصطفى - صلى الله عليه وسلم- ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا)) [الأحزاب: ٥٦] وأنه خاب وخسر من إذا ذكر عنده لم يصل عليه .

اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإيمان بالملائكة :

الملائكة جند الله ، يأتىرون بأمره ولا يعصونه.. إن في العالم مخلوقات كثيرة لا نعرفها، يعلمها خالقها - جل وعلا - ومن بينها الملائكة... بهذه الصورة يمكن أن نتحدث عن هذا الركن الإيماني الغيبىي أمام الأطفال ، ونضيف لهم : إن أعمال الملائكة كثيرة نستشفها من بعض الآيات الكريمة، ومن ذلك حفظ الإنسان ((إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلِيَّهَا حَافِظٌ)) [الطارق: ٤]. وكتابة ما يعمله في حياته ((مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) [ق: ١٨].

وكم يسعد الأطفال عندما تجمعهم أمهم ، لتحدثهم عن الجنة ونعمتها ، والملائكة فيها ، إذ تبشر المؤمنين كقوله - تعالى -: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَيْشِرُوا بِالْحَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوَعَّدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُرُّلَا مِنْ عَفْوِ رَّحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنَ قُوْلًا مِمْنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [فصلت: ٣٠-٣٣].

فاللام بذلك تستفيد من صفات طفولة أبنائها، في خدمة عقيدتها، ويجدون مرضاة الله (تعالى). فبدلاً من إرضاء الخيال النامي عندهم بقصص خرافية، وأساطير وهمية، قد لا تجلب لهم إلا العنف ، والبعد عن الواقعية.. نكون بذلك قد تعاملنا مع طفولتهم بما يرتضيه الشرع الحنيف.. على أن لا يكون في هذا شطط ولا غلو، إن الغلو في أي شيء إفراط قد يؤدي إلى خلاف ما يقصد المربى . وينبغي ألا يثبت المربيون صورة خاطئة في عقول الأطفال عن شكل الملائكة مثلاً.. ولاسيما أن أكثر وسائل الإعلام تصور الملائكة بأشكال معينة لها أجنة، وتصور الشيطان بأن له قرونًا .. وذلك حتى لا تثبت هذه الصورة الخاطئة في نفس الطفل.

عدم التركيز على الخوف الشديد من النار :

إن الطفل ذو نفس مرهفة شفافة، فلا ينبغي تخويفه ولا ترويعه ، لأن نفسه تتأثر تأثيراً عكسيًا .. يمكن للمربي أن يمر على قضية جهنم مرأً خفيأً رفياً أمام الأطفال ، دون التركيز المستمر على التخويف من النار، ظناً منه أن هذه وسيلة تربوية ناجعة ..

آخر الحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - : أن فتى من الأنصار دخلته خشية الله، فكان يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه

وسلم- فجاءه في البيت ، فلما دخل عليه اعتقه النبي ، وخر ميتاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم- : «جهزوا صاحبكم فإن الفرق فلذ كبده ! (٢) .

إن الفقه في دين الله هو ألا يقط الناس من رحمة الله وألا يستهينوا بمعاصيه . فعن علي - رضي الله عنه - قال : ألا أنبئكم بالفقير حق الفقير؟ من لم يقط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقة ، ولا خير في فقهه ليس فيه تفهم" (٣) .

الإيمان بالقدر :

وعلينا أن نزرع في نفس الطفل عقيدة الإيمان بالقدر منذ صغره ، فيفهم أن عمره محدود ، وأن الرزق مقدر ولذلك فلا يسأل إلا الله ، ولا يستعين إلا به ، وأن الناس لا يستطيعون أن يغيروا ما قدره الله - سبحانه وتعالى - ضرأً ولا نفعاً ، قال - تعالى - : ((قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)) [التوبه: ٥١] .

أما كيف يتم ذلك؟ فمن خلال انتهاز الفرص المناسبة ، ولعل أبرز الظواهر التي تلفت نظر الأطفال في هذا المجال : ظاهرة الموت ، فهم قد يتقبلونه تقبلاً معتدلاً ، وذلك في ظل أسرة لا تبدي جزعها من الموت ، وتشعر الأطفال - وببساطة - أن من ينتهي عمره يموت. أما إن شعر الأطفال - بطريقة ما - أن الموت عقوبة وذلك من خلال التعليق على موت أحد الناس: "والله إنه لا يستأهل هذا الموت"! كما تقول بعضهن في لحظة انفعال ، نسأل الله المغفرة والهداية ، وكذا إن هددت الأم طفلها بالضرب والتمويت ؛ فيزرع في ذهنه أن الموت عقوبة وليس نهاية طبيعية ومنتظرة للجميع مما يجعلهم يجزعون منه مستقبلاً ، وهذا ما يتنافي مع عقيدة الإيمان بالقدر.

وكذا بالنسبة للرزق : جميل بالمربيبة أن تعمد أمام طفلها حمد الله - تعالى - على ما أعطى من الرزق ، فذلك يرسخ في ذهنه أن المال مال الله والخير كله منه.. وإن قال لها مستتركاً : إلا أن المال من مكان "كذا" لمكان عمل والده - فهي الفرصة لأن تغرس في نفسه ، لأنه لابد من اتخاذ الأسباب المؤدية إلى النتائج بحسب السنة الجارية.. ومن ثم يحس بوجوده الذاتي ويعمل ، دون أن يفتتن بنفسه ولا بعمله ، ودون أن يفتتن بالأسباب(٤) .

وإن اتخاذ الأسباب مع الإيمان بالقدر - يجعل من المسلم إنساناً مقداماً لا يخشى إلا الله ، كريماً لا يخاف على نفسه الفقر ، صبوراً لا يهلك أمام كل مصيبة مادامت مقدرة .

فهذا المعتقد : "يحدث في حسن المؤمن توازنًا جميلاً رائعًا، يعينه على القيام بدور الخلافة الراشدة في الأرض ، ويجعله يعمل في الأرض وقلبه متطلع إلى الله في السماء.

إنه يتخذ الأسباب عبادة لله ، وانطلاقاً مع سنة الله الجارية ، ويحس في الوقت ذاته أن النتيجة التي وصل إليها هي قدر قدره الله ، وليس حصيلة أسبابه التي اتخذها ، وأن الأسباب لا تؤدي بذاتها أداءً حتمياً إلى النتيجة إنما تؤدي إلى النتيجة بقدر من الله.

فهذه المعاني تدفع الطفل إلى عدم التخاذل ، فلا يداهن ولا يراوغ ، لأنه قد حُسِنَ بقوه العقيدة ، ولا يمكن أن ينحني رأسه أمام مغريات الدنيا ، ولا إرهاب التجبريين ؛ لأنه اعتاد أن ينحني ويسجد لله فقط.

فمن هؤلاء الأطفال الذين نغرس في نفوسهم هذه المعاني - معاني العقيدة - سيكون خط التغيير نحو منهج الله بإذن الله ، من المنازل ومن رياض الأطفال سوف تصح المفاهيم ، فليتّق الله أولياء الأمور في هذه المدارس ، وفي تلك المنازل ، وليعلموا عظم المسؤولية وليؤدوا الأمانة بصدق وإخلاص ، ليربطوا عقيدة الناشئة بعقيدة السلف.

الهوامش :

١ - متفق عليه.

٢ - أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد، والبيهقي من طريقه عن سهل بن سعد وانظر : "حياة الصحابة" ، ٦١٨/٢ ، والفرق : الخوف ، فلذ : قطع.

٣ - حياة الصحابة : ٢١٠/٣ .

٤ - مفاهيم يجب أن تصحح : محمد قطب ، ٢٧٦،

٥ - مفاهيم يجب أن تصحح : فصل مفهوم القضاء والقدر ، ص ٧٧.

قراءة في كتاب جراحة التجميل بين التشريع الإسلامي والواقع المعاصر

عرض وتلخيص : محمد وهدان

انتشرت جراحة التجميل في كل دول العالم خلال السنوات العشر الماضية.. وهي عمليات جراحية صغيرة أو كبيرة يراد منها إما علاج عيوب خلقية تتسبب في إيذاء صاحبها بدنياً أو نفسياً، وإما تحسين شيء من الخلقة بحثاً عن جوانب من الجمال أكثر من الموجود أو بدلاً عن المفقود. وقد كثر هذا اللون من ألوان التجميل في أيامنا هذه ، وفي واقعنا الذي نعيشه ، وتحصص له أناس ، قصرروا أنفسهم عليه ، ووفروا وقتهم للتقنن فيه كما أصبح له أقسام في كثير من كليات ومعاهد الطب ، وعيادات لكتاب الجراحين للاهتمام به تدريجياً ومزاولة.

كما أن أجهزة الإعلام في كثير من الدول تلهب النساء بسياط التشجيع والترغيب في هذا اللون من التجميل بنوعيه ، وإذا كان الواقع الإنساني المعاصر يتقبل بصدر مفتوح كل ما يثير فيه الغرائز ، وينمي لديه الشهوات ، فإن التشريع الإسلامي يختلف عن ذلك كلياً.

وكتاب (جراحة التجميل بين التشريع الإسلامي والواقع المعاصر) يعالج هذه القضية، ويطرح وجهة نظر الدين الإسلامي.. من خلال آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- وسيرة السلف الصالح (رضوان الله عليهم).

وبيرغم أن الكتاب من الحجم الصغير، ولا تزيد صفحاته عن ٤٨ صفحة إلا أن مؤلفه الدكتور عبد الحي الفرماوي الأستاذ بجامعة الأزهر وفى الموضوع حقه من البحث والدراسة.

يقول الدكتور الفرماوي : يفرق الإسلام بين عمليات التجميل ، ويفارق بين موقفه منها حسب التفريق إلى قسمين :

الأول : الجراحات التجميلية التي تعالج عيوباً في الإنسان - امرأة كانت أو رجلاً - يتسبب في إيذائه نفسياً أو بدنياً، ويصاحبها كذلك إن لم يعالج ألم شديد ، لا يستطيع صاحبه تحمله ، كما قد يتسبب في إعاقته عن أداء وظيفته ، أو كمال قيامه بها.

ولأن التشريع الإسلامي لا يهدف إلى تعذيب الناس أو حرمانهم مما يحقق لهم فائدة، تمكّنهم من النجاح في حياتهم ، وتعينهم على تحقيق إنسانيتهم دونما إطلاق لعنان فوضى الغرائز، ودونما إماتة لفطرة الأنوثة التي خلقها المشرع سبحانه في المرأة - فقد أباح هذا النوع من عمليات التجميل.

الثاني : الجراحات التجميلية التي لا تعالج عيباً في المرأة، يؤلمها ويفيدها، بل يكون الدافع لذلك مجرد "جاذبية الرجال"، وهذا النوع : يحرم الإسلام منه القليل والبسيط ، ويحرم من باب الأولى : الكثير منه والمعقد.

ويidel الدكتور الفرماوي على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود أنه قال : «لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتقلجات للحسن ، المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن، فأنته فقلت : ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات للحسن.. المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله : وما لي لا لعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو في كتاب الله ! فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوح المصحف مما وجده فقلت : لئن كنت قرأتني لقد وجديتني قال الله تعالى - : ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)) [الحشر:٧] ، فقالت المرأة : فإنني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن ، قال : اذهب فانظري. قال - أبي الراوي - : فدخلت على امرأة عبد الله ، فلم تر شيئاً، فجاءت إليه ، فقالت : ما رأيت شيئاً، فقال : أما لو كان ذلك لم نجامعها».

التحدي :

ويعلق الدكتور عبد الحي الفرماوي على الحديث السابق ويقول : فهذا عبد الله بن مسعود، الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٢ هجرية (٦٥٣ ميلادية) تتحداه أم يعقوب في بيته - كما رأينا - حتى تتأكد من براءته من الواقع فيما حكم بحرمنه ، ونهى عنه.

وقد أخرج الطبراني هذا الحديث وزاد في آخره - كما يقول ابن حجر في فتح الباري - فقال عبد الله : ما حفظت وصية شعيب إذا ، يعني قوله - تعالى - حكاية عن شعيب - عليه السلام - ((وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)) [هود:٨٨].

ويقول الدكتور الفرماوي :

إن الإمام الطبرى قال : لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقها التي خلقها الله عليها، بزيادة أو نقص ، التماساً للحسن ، لا للزوج ولا لغيره ، كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، توهم البليج "حسن الطلعة" ومن تكون : لها سن زائدة فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو لحية، أو شارب أو عنفة (١)، فتزيلها بالتنف ، ومن يكون شعرها قصيراً أو حقيراً فتطوله أو تغزره بشعر غيرها، فكل ذلك داخل في النهي ، وهو من تغيير خلق الله.

ثم يقول : "ويستثنى من ذلك : ما يحصل به الضرر والأذية، كمن تكون لها سن زائدة أو طويلة، تعوقها في الأكل ، أو إصبع زائدة تؤديها وتؤلمها فيجوز ذلك.

ويشير المؤلف إلى ما يلي :

يرى الإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧م) أنه إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عنفة، فلا يحرم إزالتها، بل يستحب.

يعقب ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية (٤٤٨م) على ما يراه النووي بقوله : وإطلاقه مقيد بإذن الزوج ، وعلمه ، وإن لم تخل عن ذلك مُنْعَنْ للتدليس ويقول في موضع آخر من فتح الباري : المذمومة من فعلت ذلك - أبي عمليات التجميل - لأجل الحسن ، فلو احتاجت إلى ذلك لمداواة مثلاً جاز

يقول بعض الحنابلة : يجوز للمرأة الحف والتجمير ، والنفخ ، والتطرير إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة.

لماذا؟

قد ي تعرض البعض من الناس ويتساءلون : لماذا كان موقف التشريع الإسلامي على نحو ما سبق ذكره ؟ ولم لا يترك للناس الحرية في مثل هذه الأمور الشخصية ؟ .

ويرد المؤلف على هؤلاء قائلاً: ونحن نخاف عليهم ونرجو لهم الخير، قال الإمام الخطابي : إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع ، ولو رُخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجارة غيرها من أنواع الغش ، ولما فيها من تغيير الخلة.

كما يضاف إلى ذلك : أن فتح الباب للنساء - في هذه المبالغات - يؤدي إلى ارتمائهن في أحضان الغرائز الشهوانية والبعد تدريجياً عن رسالتهن الإنسانية، التي خلقن لأجلها، والانغماس في فضول الأعمال التي هي إلهاء عن الواجب الأساسي وهو عبادة الله - تعالى - بل عن الإيمان نفسه وبالضرورة : عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهنا يفقد الإنسان "خيريته" التي خصه الله - تعالى بها - والتى تؤهله لقيادة هذا العالم الذى يتخطى ويقاسى من الحروب ويحاط بالرعب ، والذى هو فى أمس الحاجة إلى قيادة حكيمه ، عاقلة، راشدة. ولن تكون هذه القيادة للعالم إلا بتوجيهه ومن خلق هذا العالم نفسه أو بإرشاد منه ، وبالالتزام لمنهجه ، وتعاليمه ولا يتوافر كل ذلك إلا في أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ويمضي الدكتور الفرماوي قائلاً : أنه لو عمّت هذه العمليات لكان الاعتراض الدائم على ما خلق الله سبحانه وتعالى - والانشغال بتغييره عن الوظائف الحقيقية، والمهام الأساسية التي نิطت بالإنسان في هذا الكون ، ولصرفت المرأة بها عن الرغبة في الإنجاب، ولو أنجبت لصرفت عن التنشئة والتربية، حتى لا يحرمها هذا الإنجاب من الجمال أو تصرفها التنشئة وتشغلها عنه.

ولهذا فقد حرم الإسلام هذا النوع من عمليات التجميل ، وليس التشريع الإسلامي في هذا متمنياً على المرأة ، أو مانعاً لها من شيء فيه مصلحتها وإنما ينبه المرأة دائماً إلى أن الجمال الحقيقي في الخلق ، لا في الخلقة، وأن الجمال الدائم هو جمال الروح والأفعال والأقوال لا في الأشكال والهياكل ، وأن الذي ينبغي الحرص عليه : هو ما به يتحقق للمرأة إنسانيتها وكرامتها وحسن سيرتها ، وهو جمال الخلق والطبع ، وأن الجري وراء هذه المحاولات المستمرة للبحث عن الجمال الشكلي الزائف لن يكسب الإنسان - امرأة كانت أو رجلاً - شيئاً يستحق الذكر ، بل لم يكسبه في عصوره الغابرة سوى الانطلاق في طريق الشهوات والغرائز ، الذي يشبع الفاحشة في المجتمع ثم ينتهي به إلى الانحلال والدمار والهلاك .

ويشير الكتاب في النهاية إلى أنه ما انتشرت هذه الأشياء في قوم وألفها الناس ، وأحبوها إلا كانت دليلاً على اشغالهم بالوسائل دون الغايات ، وعلامة بارزة على شيوخ الفواحش والموبقات ، ونذيرًا إلى اضمحلال حضارتهم ، وطريقاً سريعاً إلى هلاكهم ودمارهم ، والتاريخ القديم والحديث يؤكد ذلك

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه البخاري ومسلم وأصحاب السنن لأصحابه ونساء أمه: «إِنَّمَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذُوهُنَّ نِسَاءً هُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» ، وهو نفس ما حدث للإمبراطورية الرومانية وللإمبراطورية الفارسية ولل كثير من الحضارات الغابرة.

ويذكر المؤلف : أن فرنسا لم تهزم قريباً إلا لأنشغل رجالها ونسائها بالشهوات حين دخلتها جيوش الاحتلال !

ولأن الإسلام لا يحب للفرد المسلم الضياع ، فقد حرم عليه أن ينغمس في الشهوات ، أو يشغل بما يهيج غرائزه ، حتى لا تغلب شهواته على عقله ، وينفصل في واقعه الذي يعيشه عن التشريع الذي يحفظ عليه آدميته ويعطي من إنسانيته .

الهوامش :

- ١ - العنفة : الشعر النابت على ظاهر الشفة السفلية .

الزاوية الطبية

حبوب منع الحمل ما لها وما عليها؟

د. خالد الموسى

مع انتشار حبوب منع الحمل ومنظّمات الدورة الشهرية عند المرأة في مطلع النصف الثاني من هذا القرن ومع تزايد استعمالها أظهرت الكثير من الدراسات العلمية أنها ليست مأمونة مطلقاً، ولا يتم تناولها بدون أضرار بدنية ونفسية، وما تمر فترة إلا ويتبين ارتباطها ببعض من الظواهر المرضية وظهور أعراض جانبية عديدة.

فإن هذا الهدف الرئيسي لاستعمالها هو منع الحمل أو تنظيم النسل، وقد أُسىء استخدامها كثيراً حتى أصبحت تتناول من قبل الشابات الصغيرات في كثير من البلدان الأوروبية والغربية والشرقية مع انفتاح الحرية الفردية والحياة الجنسية وبدون حدود أو ضوابط ، وانتقلت إلى البلدان العربية والإسلامية عن طريق فكرة تنظيم النسل (وهي فكرة يهودية خبيثة) فإن كانت هناك مبررات فردية وشخصية وعلى مستوى ضيق ومحصور لتنظيم الأسرة فلا يجب أن تعمم على إطلاقها ويطلق العنوان لانتشارها، فالإسلام دعا إلى التكاثر وحفظ النسل، لا قطع الحرج.

وإن هذا الاستعمال لا يخلو من محاذير كثيرة وتأثيرات جانبية تتعرض لها المرأة وسنحاول باختصار ذكر هذه الاضطرابات الجانبية لحبوب منع الحمل :

١ - تؤدي إلى زيادة الوزن نتيجة زيادة الشهية وبعوامل استقلالية هرمونية على النسيج الشحمي .
٢ - تؤدي إلى حبس الأملاح والسوائل وبالتالي لزيادة الوزن وزيادة حجم كتلية الدم ثم ارتفاع الضغط الشرياني .

٣ - تزيد نسبة حدوث تخثر الدم ، ثم تزداد نسبة حدوث الخثرات الوريدية والتهاب الأوردة الخثري ، وحصول الصلمات الجهازية والرئوية بشتى أنواعها.

٤ - تزداد نسبة حدوث التهاب الأوردة الخثري العميق المؤدي إلى حدوث صمات رئوية قد تكون قاتلة.

٥ - تزيد نسبة حدوث ارتفاع الشرياني وما يسببه من تأثيرات ضارة جهازية في الجسم.

٦ - تزيد نسبة حدوث الآفات القلبية الوعائية كخناق الصدر وقصور الدوران الإكليلي واحتشاء القلب.

٧ - تزيد نسبة حدوث الخفقان واضطرابات النظم القلبية والتي قد تكون خطيرة بحد ذاتها أو بحدوث صمات جهازية خطيرة.

٨ - تفاقم خطورة الأمراض القلبية إن كانت موجودة سابقاً كأمراض القلب الرئوية أو الآفات الخلقية، وتزيد من نسبة خطورتها.

- ٩ - تزيد نسبة حدوث الصداع التوتري والشقيقة.
- ١٠ - تزيد نسبة حدوث الحوادث الوعائية الدماغية.
- ١١ - تؤدي إلى حدوث اضطرابات نفسية وسلوكية عديدة كالنرفزة وسرعة الإثارة والنرق والكافحة.
- ١٢ - تؤدي لحدوث أورام غدية صغيرة في الكبد والغدة النخامية.
- ١٣ - قد تسبب التهاب ما حول القنيات الصفراوية (التليف التصلبي).
- ١٤ - تؤدي لأعراض هضمية عديدة متنوعة كالغثيان وألام المعدة.
- ١٥ - تؤدي إلى حدوث اندفعات جلدية، وطفح متعدد الأشكال على الجلد.
- ١٦ - ينصح جميع الأطباء بعدم إعطائهنها بعد سنة ٣٥-٣٩ سنة.
- هذه مجمل تأثيرات حبوب منع الحمل ، ولا يمر استعمالها بدون تأثير جانبي وناري..
- فهل من استجابة للإقلال من استعمالها واقتصر ذلك على بعض الحالات الفردية الضرورية الخاصة فقط؟!

رسالة الطبيب في الحياة

لقد خلق الله البشر وكل قدرته وطاقته ومواهبه، وخلق أرزاقهم ويسر لهم السبيل باختيار منهج وطريق حياتهم، وأرشدهم لاتخاذ السبيل في كسب العيش والبحث عن الرزق .. والكل راضٍ بما قسمه الله له، ولقد حمل الإنسان الأمانة في عمارة هذه الأرض بعد أن استخلف فيها. قال - تعالى :- ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) [البقرة: ٣٠]. وقال: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنْهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) [الأحزاب: ٧٢].

وإن هذه الأمانة والاستخلاف تزداد مسؤوليتها والحمل الملقي على صاحبها مع حجم الطاقة والقدرة وبقدر المواهب والعلم والمعرفة والمكانة التي يتمتع بها.

وإن رسالة الطبيب رسالة إنسانية بما فيها من رأفة ورحمة وشفقة، والعبء ثقيل والأمانة عظيمة ودوره و شأنه عظيم في هذه الحياة وذلك بسبـ :

١ - مكانته وقدرته ومواهبه وعلاقته الاجتماعية..
٢ - طبيعة مهنته وتعامله مع أرواح وأنفس وأجساد البشر، وقوه وشدة تأثيره، لذا فمسؤoliته عظيمة، والأمانة ثقيلة، والدور الذي أنيط به جد مهم ، فمن ثم عليه أن يقوم بواجبه بإحسان التعامل مع المريض والسعـ لتخفيـ الألم والحزـ وشـة المرض عن الناس وأن يبذل جهـهـ ويعـلـ بـ شـكـلـ دـؤـوبـ لـتحـقـيقـ الصـحةـ العـامـةـ وـالـخـدـمـةـ إـلـاـنـسـانـيـةـ بـشـتـىـ جـوانـبـهاـ وـالـشـفـاءـ بـإـذـنـ اللهـ.

وتزيد هذه المسؤولية على الطبيب المسلم لأنـهـ يـنـطـلـقـ مـنـ منـظـورـ دـينـيـ إـسـلـامـيـ وـمـراـفـقـةـ ذاتـيـةـ وـمـحـاسـبـةـ مـسـتـمـرـةـ وـارـتـباطـهـ الـكـاملـ بـالـلـهـ - عـزـ وـجـلـ - ولاـبـدـ أـنـ يـتـذـكـرـ كـلـ طـبـيبـ أـنـهـ سـيـحـاسـبـ عـنـ هـذـهـ الـمـسـؤـلـيـةـ فـيـ يـوـمـ الـحـسـابـ حـيـنـماـ يـقـفـ بـيـنـ يـدـيـ رـبـ الـأـرـبـابـ .

لم يكلف نفسه بالسؤال ... ولكن ؟!

طارق خليل الأسود

كثير من المسلمين اليوم يقوم بفعل الشيء، وبعد أن يتمه يأتيك سائلاً عن حكمه ، فربما كان الحكم حراماً أو حلالاً، أو مكروهاً أو مندوباً ... فماذا يفعل هذا المسلم لو كان الحكم حراماً؟! ؛ إنه ارتكب إثماً - ولا شك - في حق نفسه لأتفه الأسباب، لأنه لم يكلف نفسه بالسؤال ولا الاستفسار عن حكم هذا العمل الذي يريد الإقدام عليه قبل عمله والوقوع فيه.

بل الأمر الأدهى من ذلك والأمر، ذلك المسلم الذي يقوم بفعل الشيء وهو لا يعرف حكمه، ثم لا يسأل ولا يبالى إن كان الحكم حراماً أو حلالاً، مندوباً أو مكروهاً ... الخ .

ولكن نجد فئة من الناس بل الغالب عليهم أنهم لا يسألون عن الحكم الشرعي، بل نجد الرجل منهم حينما يتقدم الخطاب إلى خطبة ابنته ، لا ينام الليل ولا النهار حتى يعلم أدق الأمور عنه فيسأل القريب والبعيد عنه ، وقد يضطر أحياناً إلى السفر إلى الخارج للبحث والاستفسار عنه ، وكذلك يتحقق ويزن الأمور التي توصل إليه ، أليس هذا واقعنا المعاصر؟ .

اعلم يا عبد الله : أن كل حركة أو إشارة أو كلمة أو نظرة لها وعليها حساب ؛ قال الله - تعالى - : ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))

[الزلزلة: ٨-٧] وأنت تعلم ما الذرة وما كبرها، فينبغي معرفة حكم الشيء قبل الإقدام عليه فإن كان حراماً ابتعدت عنه ، وإن كان حلالاً أقدمت عليه... وزن الأمور قبل وقوعها بميزان الصراط المستقيم ، ميزان الحق والعدل ، ميزان الحلال والحرام ، ميزان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن كانت موافقة فالراحة والطمأنينة ، وإن كانت مخالفة فالابتعاد عنها ، وإن كان فيها شك أو شبهة ابتعدنا عنها أيضاً أسلم للعواقب ، وأكد للثواب. هذا إذا أردت عتق نفسك من النار ، وعدم تحملها أكثر مما تطيق من الآثام والأوزار. اللهم انفعنا بما علمتنا ، وكن عوناً لنا.

نسبة الانتحار بين الشباب البريطاني في ارتفاع

ارتفعت نسبة الانتحار بين الشباب فوق ٥٠ % خلال الأعوام العشرة الأخيرة .

ورد ذلك في تقرير جديد نشر في جريدة "غارديان" وأصدرته جمعية معنية بالتخفيض من أسباب الانتحار ، ومساعدة الذين يتعرضون لضغوط نفسية قد تدفعهم إلى الانتحار .

وعللت ارتفاع نسبة الانتحار بين الشباب لأنهم أكثر قابلية لأسبابه التي منها : تزايد الضغوط الاجتماعية ، والإخفاق في الحصول على إنجازات أكبر في المدرسة ، والصعوبات الاقتصادية خلال العقد المنصرم .

أما عن أسباب الانتحار عند الكبار فقد ذكر التقرير من ذلك : الوحدة ، والحرمان ، وانهيار الصحة ، وتناقص الفرص المتاحة ، والعيش في ظروف غير مناسبة ، والخوف من وقوعهم عبئاً على الآخرين .

وذكر التقرير أن كل ساعتين هناك من يقتل نفسه في بريطانيا ويعتبر هذا أشد إثارة للفلق من الرقم الذي تعلنه الدولة سنوياً عن الذين ينتحرون وهو (٥٠٠٠) ، وكذلك هناك أكثر من ٢٠٠ ألف محاولة انتحار .

وقد تلقت الجمعية خبر ٢,٥ مليون حالة محاولة انتحار ما بين مكالمة ورسالة وسائل .

نسبة من هم بين ٤٤-١٥ سنة ارتفعت ٥٠ % خلال العشر سنوات الماضية ، وكان فيها عدد الرجال ضعف عدد النساء .

المنتحرن تحت ٢٥ سنة كانوا ٨٠٪ ذكوراً.

كانت نسبة الذكور من المنتحرين الذين هم دون ٢٥ سنة ٨٠٪ بزيادة ٦٪ بين عام ١٩٧٨ - ١٩٨٨.

وقد تراجع عدد النساء المنتحرات بنسبة ٢٪ وعزا التقرير سبب ذلك انه ربما لأن المرأة قد تبكي أو تصرخ أو تنفس عما في نفسها بطريقة أو بأخرى بينما الرجل في الأغلب يدفن همومه بداخله. بقي أن نضيف أن هذه الجمعية عندها (٢٢) الف متطلع ، وتعلن أنها بحاجة إلى (٦) ألف آخرين ، وإلى (٤) ملايين جنيه إسترليني كي تستمر في إدارة (١٨٤) فرعاً لها في جميع أنحاء بريطانيا.

غارديان ويكي ١٩٩٠/٥/٢٧

الصفحة الأخيرة معدن الشعوب

عبد القادر حامد

تظهر معدن الشعوب والجماعات على حقيقتها عند الأزمات ، حيث يقع الناس تحت التأثير العام للأزمة ويصطرون بنارها ؛ فتنكشف عنهم حجب الرياء والنفاق ، وتتساقط من بينهم جدران التكلف والتملق ، ويبدو كل فرد بأخلاقه الحقيقة وبسلوكه الذي فطر عليه.

وقد ظهر هذا جلياً في أزمة الخليج واحتلال العراق للكويت، فتبخرت كثير من الشعارات التي أنفق العرب من عمرهم زمناً طويلاً يرددونها ويتغدون بها، فقد جعلت هذه الأزمة كثيراً من العرب يكفرون بالعروبة عملياً وإن لاكتها أسلفهم نظرياً.

والوحدة العربية كحلم تبخّر من ذهن أغلبية شعوب المنطقة التي تعاني المُر كله من الضغط الداخلي والخارجي ، والتضامن الإسلامي على أساس العقيدة الإسلامية يبحث المرء عن آثاره ، ويتشمم في الزوايا أخباره فلا يجد شيئاً !

ولو تركت الشعوب تصارع هذه الأزمات المفتعلة بما عندها من مواهب وما أعطاها الله من إمكانيات لربما ظهرت الأصالة العربية والحمية الإسلامية، ولكن هيئات وهي لا تترك وحدتها ولا يخلُّ بينها وبين أعدائها، بل تستمر أجهزة الإعلام من كل حدب وصوب تثير الأحقاد وتستعدي الشعوب بعضها على بعض ، فتذهب بالبقية الباقية من رصيد الخير الباقى في نفوسها. من أجل ماذا؟ من أجل قلة قليلة لسان حالها يقول: إذا متْ ظمآنَا فلا نزل القَطْرُ !

تمت بعون الله ، وله الحمد